٢٦٥

HARLEQUIN

روايات احلام

لن تندمي

باربرة ماكماهون

www.elromancia.com
مرموريـة

لن تندمي

- هل تتزوجينني؟

ابتعدت كاسندرا عنه وعادت من الطريق الذي دخلا منه للتو.

- انتظري دقيقة يا كايسي.

وأمسك جيرد بذراعها يوقفها وهو يقول: «ناقشيني في الأمر على الأقل».

ثار غضبها: «وماذا أناقش؟ لا أريد أن أكون جليسة أطفال... فكل ما تريده أنت هو أم لطفليك. لكن المرأة لا تتزوج إلا إذا كان من يريدها يحبها وكانت هي تحبه».

- لا تعطيني ردك هذه الليلة، كايسي. فكري في الأمر...

لكن الفكرة الوحيدة التي كانت في باله هي هذه الفتاة الواقفة أمامه تتحداه...

... ونسي عبء الأبوة الذي وضع على كاهله فجأة.. نسي متطلبات العمل، وأن كاسندرا موظفة لديه... وقرر أنه سيتملقها ويحتال عليها ويرشوها ويغريها إذا اقتضى الأمر، لأنه يريدها أماً لابنتيه.

١ ـ تو أمان؟!

توقف المصعد فجأة وانفتح الباب ليخرج منه «جيرد هنتر». وبعد أن أخذ نفساً عميقاً، دخل القاعة الفسيحة المليئة بالمكاتب، وهو ينظر إلى الأمام نحو باب مكتبه الخاص في الزاوية البعيدة، متجاهلاً بذلك الرؤوس التي التفتت نحوه. قال له «جيب» مؤاسياً: «أقدم لك خالص عزائي. لقد كانت السيدة هنتر شخصاً محبوباً!».

ووقفت جولي مايرز حين مرّ جيرد من أمامها، وقد بدا الحزن على وجهها، فقالت بصوت ناعم: «آسفة لوفاة المرحومة زوجتك يا جيرد!».

أومأ برأسه، عابساً، وتابع سيره نحو المكتب. كان بحاجة للانفراد بنفسه في مكتبه، بعدما تملكه الدوار نتيجة الأحداث التي عصفت به. لم يستطع أن يصدق أن «مارلين» ماتت. لم يكن يعلم أن الناس ما زالوا يموتون بسبب الانفلونزا، حتى هذه الأيام. أما كان بالإمكان التخلص من هذا المرض القديم بكل تلك الأدوية التي صنعت للتصدّي له؟

قالت هيلين وولنر سكرتيرة جيرد الخاصة، تسأله: جيرد هل أنت بخير؟.

ونهضت من خلف مكتبها واتجهت نحوه وقد بان العطف في عينيها.

فأومأ جيرد، قائلاً: كانت رحلة تعيسة، لكنني عدت إلى بيتي على الأقل. كيف تجري الأحوال هنا؟

ـ الجميع يشعر بالحزن. ولكن نظراً إلى التوسّع الذي جرى في السنوات الثلاث الماضية في الشركة، لم يتعرّف الموظفون الجدد إلى

مارلين. مع ذلك تحدث الكثير منهم إليها عبر الهاتف. وكان الجميع يعلم أنها الشريك الآخر.

فتح جيرد باب مكتبه ودخل غاضباً، بعد أن لاحظ أنها أغفلت كون الفقيدة كانت زوجته أيضاً. كانت الرسائل مكدّسةً بترتيب على الجهة اليمنى في مكتبه، وبعض الملفات عند الجهة اليسرى. أمّا في الوسط، فكانت الرسائل الهاتفية، وبينها مغلف مستطيل.

استدار حول المكتب، ووضع حقيبة أوراقه على خزانة كتب منخفضة خلف كرسيه. كان خليج سان فرنسيسكو متألقاً تحت أشعة شمس العصر، لكنه لم ينتبه إليه، فكل ما كان يشغل انتباهه هي تلك الأعمال التي كانت تنتظره. ولكم كان يشعر بالتعب.

سألته هيلين وهي تقف عند العتبة: هل وصلت للتوّ؟.

ـ لقد حطت الطائرة منذ حوالى الساعة، فجئت مباشرة إلى هنا.

ـ هل أنت بخير؟ أعرف أنكما عشتما، أنت ومارلين، خلال هذه السنوات الثلاث الماضية، بعيدين الواحد عن الآخر. مع ذلك كانت زوجتك.

ـ لكنك تعلمين يا هيلين أن ذلك كان قانونياً. هل ما زالت الأقاويل سارية؟

ـ نعم. لقد أخبر الموظفون القدامى أولئك الجدد، بأنكما، أنت ومارلين تزوجتما فقط لتسهيل تكوين «شركة هنتر». وأظن أن بعض الموظفين الجدد لا يعرفون أنها زوجتك، فهم لم يروها قط! فقد كانت تعيش في نيويورك، كما تعلم.

أومأ جيرد برأسه وهو يأخذ المغلف، وسألها: «ما هذا؟»

فقد كانت الرسائل الأخرى مفتوحة وموضوعة في أحد ملفاته. فأجابت: «وضعت هذه الرسائل الهاتفية على حدة. لقد تلقيت الكثير من الاتصالات اليومية لمدة أسبوعين. وقد تلقينا أمس هذه الرسالة البريدية المسجلة. حاولت أن أشرح لهم سبب عدم قدرتنا الاتصال بك في

«بانكوك»، ولكن يظهر أنهم لم يسمعوا بخبر الإعصار».

هز جيرد كتفيه، ثم خلع سترته ووضعها على كرسيّه وسألها:

ـ هل ذهب أحد من هنا لحضور الجنازة؟

ـ لا، ولكن غالبية موظفي مكتب نيويورك ذهبوا. وأرسل إلينا «بوب ماسون» تقريراً وضعته مع بقية رسائلك، لا تلم نفسك لعدم تمكنك من حضور الجنازة، يا جيرد. لكنت حضرتها، لو أنك تمكنت من ذلك. لا شك أن مارلين ستتفهم ذلك!

ـ لماذا يتصل أولئك المحامون؟

بدا وكأنّ جيرد لم يشأ ذكر الأسباب التي منعته من الذهاب إلى نيويورك لحضور الجنازة. في الواقع، لقد حاول جهده، لكن الحظ عاكسه. وعندما استطاع ذلك، كان كل شيء قد انتهى. لقد هدأت ثورة غضبه الآن وحلّ مكانها هدوء فلسفي. إذا كان هناك من يفهم مشاكل العمل ويستمتع بها، فهي مارلين.

ـ لم يقولوا شيئاً. لقد أصروا على الاتصال بك شخصياً، فحسب. أعطيتهم رقم هاتفك في بانكوك، لكي يدركوا بأنفسهم سبب عدم قدرتنا على الاتصال بك. فكما تعلم، لا يثق المحامون تماماً بالآخرين، ولا أدري لماذا يظنون أننا نمنعهم من الاتصال بك!

ـ شكراً يا هيلين!

ـ أخبرني إذا احتجت شيئاً!

ـ حسناً!

أغلقت الباب بشكل غير كامل بينما التقط جيرد المغلف. كان متعباً للغاية، بعد الرحلات العديدة التي قام بها في المناطق الاستوائية. ولو كان ممن يؤمنون بالخرافات، لاعتقد بأن النحس يلاحق العمل الذي كان يحاول إنجازه. فقد بدأت الرحلة بشكل سيء، إذ أصاب الطائرة خلل ميكانيكي، فأرغمت على الهبوط في جزيرة «ويك». بعد ذلك حصل ارتجاج عنيف في الطائرة في سماء بانكوك، أعقبته فوضى بالغة في

المعاملات الجمركية. كما أن الجوّ الحار زاده إرهاقاً بعد خروجه من المطار. وإذا به يجد أن حريقاً شبَّ في الفندق الذي حجز فيه مسبقاً، فكان عليه أن يعثر على مكان يبيت فيه، قبل حلول الإعصار الذي تنبأت به الأرصاد الجوية. ولم يكد يبلغ مكتبه، حتى بدأت الأمطار والسيول والرياح.

كانت العواصف في أميركا عادة، تخلّف دماراً كبيراً، لكنها كانت تهدأ بسرعة. إلا أنها بدت وكأنها لن تسكن أبداً في بانكوك.

كان قد تلقى خبر موت مارلين، قبل ساعات قليلة من هبوب العواصف. لكن الطائرات كانت متوقفة والاتصالات مقطوعة. وكانت المياه تغمر الشوارع، ما جعل حوادث السير تزداد. وهكذا مضت أيام قبل أن تسكن تلك العاصفة، ويتمكن من الاتصال بمكتبه ليخبرهم بأنه سيعود على أول طائرة.

تناول جيرد المغلف الموضوع على مكتبه، وراح يفكّر في الشعور الذي راوده والذي لم يستطع تحديده، حيال وفاة مارلين. وهز رأسه وقد نفد صبره. لقد مضت أكثر من ست سنوات على زواجهما وعلى الرغم من أنه كان في البداية زواج مصلحة، إلاّ أن مارلين كانت صديقة جيدة. لم يستطع أن يصدق بأن مارلين فارقت الحياة، فقد كانت في التاسعة والعشرين من العمر فقط، وهو سن الحياة، وكانت قد أوشكت الحصول على ما كانت تتمنى إنجازه.

لم يكن قد رآها منذ أكثر من عام.. كان ذلك في واشنطن حيث اجتمعا مع رجال الكونغرس لمناقشة تنظيم التجارة عبر المحيط الهادىء. لكنهما كانا يتحدثان هاتفياً في الكثير من الأحيان، كما كانا يتبادلان الرسائل دائماً بواسطة البريد والفاكس.

لقد تزوجا منذ ست سنوات، وانفصلا برضى الطرفين منذ ثلاث سنوات. لكن ذلك لم يؤثر على علاقة العمل بينهما... وكانت مارلين ممتازة في هذا المجال. وكان التوسع إلى الأسواق الأوروبية، فكرتها هي

فقد أصرت على الانتقال إلى نيويورك، لكي تؤسس ذلك المكتب. كانت نشيطة جداً، وتزخر بالحيوية. ومنذ أن تركت سان فرنسيسكو، لم تنظر إلى الخلف إطلاقاً. ولم تعد حتى ولو لزيارة خاطفة، كما أنه لم يفتقدها. لكنه سيشعر بغيابها الآن، ولو تعلّق ذلك بالعمل فحسب.

تنهد «جيرد» وفتح المغلّف، ثم أخذ يقرأ محتواه على مهل. أعاد القراءة وقد أصابه الذهول. لم يستطع تصديق ما قرأه وصرخ بأعلى صوته: «هيلين»!.

ثم راح يقرأ الكلمات للمرة الثالثة. أتراها مزحة؟ كيف يمكن أن... «هيلين!».

انفتح الباب قليلاً، ووجد جيرد «كاسندرا باولز» تنظر إليه بخجل. وإذ كان ذهنه مشغولاً بما في الرسالة، مضت لحظة قبل أن يدرك أنها ليست هيلين.

قالت له كاسندرا: «آسفة يا جيرد، هيلين ليست موجودة حالياً! هل بإمكاني أن أساعدك؟».

وقف جيرد وألقى إليها بالرسالة، قائلاً: «اقرأي هذه وأخبريني ما جاء فيها!».

فدخلت وهي تحمل ملف أوراق، بعد أن كانت تنتظر أن يمنحها الفرصة ليناقشا معاً مشروع اتحاد الشركات العالمية. وعندما سمعته ينادي هيلين، بحثت عنها لتبلغها. وعندما نادى مرة أخرى، ولم تجدها، شعرت بأن على أحدهم أن يجيب.

دخلت المكتب وتقدمت مترددة لتتناول منه الرسالة، بينما راح يتأملها وهي تنظر إليها. كانت قد التحقت بشركة هنتر منذ سنتين، بعد تخرجها مباشرة من جامعة بيركلي وحصولها على إجازة في إدارة الأعمال. لكنها قلّما كانت تتعاطى مع الرئيس، فهي مجرد محلّلة لاتجاهات التسويق.

نظرت إليه بحيرة، وهي لا تدري لما يريدها أن تقرأ الرسالة. وبعد أن قرأتها، قالت: «يبدو أن محاميكم في نيويورك يتساءلون متى ستذهب

لإحضار ابنتيك التوأمين».

هل كان يُفترض بها أن تستنتج شيئاً آخر من هذه الرسالة؟ فقد جلس جيرد وقال وهو يحدق فيها: «تباً لذلك! توأمان».

جلست كاسندرا على حافة الكرسي، وراحت تتأمله برزانة ثم ابتلعت ريقها بشكل ظاهر، وقالت: «... يبدو وكأنك لم تكن تعلم بوجودهما».

ـ لم يكن لدي أدنى فكرة.

كيف تلد مارلين له ابنتين من دون أن تخبره؟ ولم تقل كاسندرا شيئاً.

تصفح جيرد الرسائل الهاتفية. كانت كلها من مكتب وكلاء مارلين في نيويورك. تناول ببطء إحداها، ثم طلب رقم المكتب. فقالت له كاسندرا بنعومة: «الساعة الآن في نيويورك تشير إلى ما بعد الخامسة، والمكاتب مقفلة».

أومأ جيرد وهو يعيد السماعة إلى مكانها. آخر ما كان يتوقعه اليوم هو الاكتشاف أنه أب. ولكن، هل هذا صحيح؟ ولماذا لم تخبره مارلين بأنه أب لابنتين، قبل ذلك؟؟

وسألته هيلين التي وقفت عند العتبة: «هل ناديتني يا سيدي؟».

فقال وهو يشير إلى كومة الرسائل الهاتفية: «هل أنت واثقة من أن أولئك المحامين لم يخبروك ما يريدونه مني؟

وعندما أومأت، قال: «اقرأي هذه».

وأشار إلى الرسالة على المكتب. وحين قرأتها، نظرت إليه وقد اعترتها الدهشة: «آه، تهانيّ يا جيرد، أنت أب إذن!».

ـ أتظنين ذلك؟

فبدت عليها الحيرة: «هذا ما تقوله الرسالة!».

ـ أنت تعلمين أن مارلين سافرت إلى نيويورك لتفتح مكتباً هناك، منذ ثلاث سنوات تقريباً. وبما أنها لم تكن حاملاً عند ذهابها، هذا يعني أن هاتين التوأمين ليستا ابنتيّ!.

نظرت هيلين إلى كاسندرا بحذر، ثم قالت له: «ربما عليك أن تنتظر

إلى أن تتحدث إلى المحامين».

ـ لقد حاولت، ولم أحصل على جواب! الوقت متأخر في نيويورك، لذا سأتصل في الصباح الباكر.

ـ أو حاول أن تتصل بأحد منهم في بيته.

فنظر جيرد إليها وقال: «فكرة حسنة».

ثم قال لهيلين: «انظري إذا كان هناك رقم هاتف لمنزل أي من المحامين، في المكتب».

حين خرجت هيلين، وقفت كاسندرا، وناولته مترددة، الملف الذي كانت تحمله، قائلة: «ربما لا تريد أن تزعج نفسك بهذه، حالياً، ولكنها المسوّدة التي وضعناها بالنسبة إلى مشروع اتحاد الشركات العالمية، وأنا واثقة من أنها مسودّة مشروع متماسكة... وقد أخذنا حذرنا من أي خطأ ممكن».

أخذ جيرد الملف، واستند إلى الخلف يتأملها.. كانت نحيلة الجسم، سوداء الشعر، فبدت أشبه بمديرة أو موظفة كبيرة في طريق الصعود. كانت دوماً تسرّح شعرها على شكل ضفيرة فرنسية، فتبدو بغاية الأناقة. أما عيناها فكانت تغطيهما نظارات ذات إطار أسود ما جعلها تبدو، في نظر جيرد، كالبومة. كانت عيناها الواسعتان السوداوان، المظللتان بأهداب طويلة، أجمل ما فيها. راح جيرد يتأمل بزتها الأنيقة الكحلية اللون، والبلوزة البيضاء تحتها. إنها سيدة أعمال بكل معنى الكلمة... يبدو من مظهرها أنها ترفض كل ما يمت للأنوثة بصلة. تماماً مثل مارلين. أتراها تماثلها طموحاً، ورغبة في العمل؟

راح جيرد يتصفح أوراق الملف الذي ناولته إياه، لكن ذهنه لم يستوعب الأرقام. توأمان.. وشعر بالذهول، هل هذا ممكن؟ هل كانت مارلين حاملاً حين غادرت سان فرنسيسكو؟ إذا كان هذا صحيحاً، فلماذا أخفت عنه ذلك؟ لم يستطع التصديق. لكن ذلك بدا واضحاً في رسالة المحامين.

وقالت كاسندرا: «أسفنا جميعاً لوفاة السيدة هنتر».

حدق إليها لبرهة. ماذا عساه يجيب؟ ربما ينتظر الموظفون رؤية زوج حزين، لا. لقد قالت هيلين إنهم يفهمون نوع الزواج الذي ربطه بمارلين. لقد حزن على صديقة حميمة، شريكة يعتمد عليها في العمل.

ومع ذلك، بدا الآن وكأنه لم يعرف مارلين قط، ما هي قصة التوأمين؟

قال للفتاة: «شكراً!». كل ما يريد أن يفعله الآن، هو الذهاب إلى بيته ليغطّ في نوم عميق. لكن، عليه بدلاً من ذلك، أن ينتظر ليرى إن كان بإمكان هيلين، أن تجد رقم هاتف منزل أحد محامي المكتب القضائي في نيويورك. تناهى إلى سمعه فجأة صوت هيلين من المكتب الآخر: «السيد راندال المحامي ينتظر على الخط رقم واحد».

ـ جيرد هنتر يتكلم.

قال جيرد هذا، وأشار إلى كاسندرا لتجلس.

ـ لقد حاولنا الاتصال بك طوال الأسبوع، يا سيد هنتر.

ـ أعتقد أن سكرتيرتي أخبرتكم أين كنت. لقد انشلّت الحركة في مطار بانكوك لعدة أيام، ولم تعد الأمور إلى طبيعتها حتى البارحة.

ـ متى عدت إلى الولايات المتحدة؟

ـ منذ ساعتين، جئت إلى المكتب فوجدت رسالتكم. أي نوع من المزاح هو هذا؟

اعتبر جيرد ذلك مزاحاً.

ـ ما من مزاح، يا سيّد هنتر! «أشلي» و«بريتاني» هما ابنتاك التوأمان، وهما بغاية الجمال!

ـ لم أسمع بهما قط!

وألقى نظرة إلى كاسندرا، فلاحظ التوتر عليها، وكيف كانت تحاول أن تخفي وجودها. بدا شيء من التردد في كلام المحامي قبل أن يقول:

ـ أنا أعي ذلك. يبدو أن السيدة هنتر كانت تخاف من أن تصرّ على أن يستلم شخص آخر مكتب نيويورك بدلاً منها إذا أنت اكتشفت الحقيقة. من

الواضح أنها كانت تحب ميدان العمل، وأنها لم تكن ترغب في التخلي عنه لتكون أماً طوال الوقت، رغم أنها كانت أماً ممتازة.

كان هذا منطق المحامين، في سدّ الفجوات... كانت مارلين على صواب، فلو علم جيرد بحملها، لكان فعل أي شيء ليبقيها في سان فرانسيسكو. ولكان طلب منها تخفيف أعمالها في المكتب، ذلك أن مكان الأم هو مع أولادها.

ـ كم يبلغ عمرهما؟

ألقى هذا السؤال على المحامي وشعر بغصّة. هل من الممكن حقاً أن تكونا ابنتيه؟ هل أخفت مارلين عنه الحقيقة لكي تتابع تقدمها في دنيا الأعمال؟ نظراً لقوة الإرادة الحديدية التي كانت مارلين تتحلى بها، لم يجد جيرد سبباً آخر يدفعها للقيام بذلك.

ـ ستتان أو أكثر بقليل. لديّ ملفّهما في المكتب. سأتأكد من عمرهما في الصباح، إذا شئت. لقد أوضحت السيدة هنتر تماماً أنهما ابنتاك، وأنها لم تخبرك بولادتهما. كنا نعتقد أنّك ستحضر جنازتها هنا، وتستمع إلى قراءة الوصية. في الواقع، نحن لم نقرأها بعد، لأن الطفلتين لا يمكنهما أن تفهما ما جاء فيها، إذا ما قرأناها لهما. وقد تركت الأم لهما كل شيء، على أن تكون أنت الوصي على ذلك. وسنراجع كل ذلك، حين تحضر إلى هنا.

ـ وأين هما التوأمان الآن؟

ألقى جيرد هذا السؤال وقد بدأ يعي أنه أصبح والداً. إنه أب لابنتين لم يعرفهما قط، وهما الآن تتطلبان منه كل شيء. يا إلهي، إنه لا يعرف شيئاً عن واجبات الأب. وسمّر نظراته على كاسندرا، كأنها الشيء الوحيد المتماسك الذي بقي له من عالم خرج فجأة عن سيطرته. فقد خففت تصرفاتها الهادئة عنه، وجعلته نظراتها الخجولة يتساءل عما تفكر فيه.

وسمع المحامي يقول: «لم نشأ أن نرسلهما إلى دار لرعاية الأطفال، فوافقت إحدى موظفتي الاستقبال في مكتبنا على أن ترعاهما مع أولادها.

لكن فترة الرعاية طالت أكثر مما كنا ننتظر».

ـ سأرى إذا كان بإمكاني أن أكون عندك صباح الغد!

ووضع سماعة الهاتف، فقالت له هيلين: «سأتصل بالخطوط الجوية حالاً!».

ـ هل سمعت الحديث؟

ـ نعم، وعلمت أنك ستذهب إلى هناك. هل التوأمان منك؟

ـ يبدو من سنهما أنهما ابنتاي، لقد أخبرت مارلين المحامي بذلك. وقد تركت كل شيء لهما على أن أكون أنا الوصي. تباً لذلك! يا لها من فوضى! لا أصدق أنها لم تخبرني.

ـ حسناً، أنا أصدق. هل كنت ستوافقها على فتح مكتب فرعي لو علمت بالأمر؟

نظر إليها وهز رأسه: «ما الذي أعلمه أنا عن التوائم؟ عن الأطفال الصغار؟»

وفرك عينيه وهو يشعر أنه يغلي في الداخل. فقالت كاسندرا التي كانت تعرف الكثير عن الأطفال: «قبل أي شيء، أنت بحاجة إلى من يرافقك، فالأطفال الصغار متعبون جداً! وبما أنك لا تملك أي خبرة في ما يتعلق بالأطفال، فسيكون من الصعب عليك أن تتدبر أمرك بتوأمين على الطائرة. فأي تغيير قد يكدر الطفلتين، وقد تفتقدان أمهما، فتبكيان وتسببان لك المتاعب».

حدق إليها جيرد وهيلين معاً، فقالت وهي تنقل نظراتهما بينهما: «أظنك ستحضرهما معك؟».

ـ إذا كانتا ابنتيّ حقاً، لن يكون أمامي خيار آخر!.

أومأت كاسندرا.. توأمان. وابتسمت برقة. فقد تذكرت التوأمين الطفلين اللذين كانت ترعاهما عندما كانت في السادسة عشرة، فقد كانا مشاغبين كثيراً ولم تعرف أكان ذلك لأنهما توأمان، أم لأنهما كانا مؤذيين بطبيعتهما. لكنها متأكدة من أنهما أتعباها كثيراً.

وسألها جيرد: «هل لديك ما تقولينه يا كاسندرا؟».

فهزت كتفيها وقالت: «سبق لي أن عايشت أطفالاً. وأؤكد لك أنه إذا لم يسبق لك أن عايشت أطفالاً بهذا السن، فقد لا تعرف ما ينتظرك!».

لم يستطع جيرد أن يصدق ما سمعه. كيف يمكن لهذه الفتاة التي هي نموذج للمرأة العاملة، أن تعرف كل ذلك عن الأطفال؟ فهي غير متزوجة، كما يظن. وحاول أن يتذكر المقابلة التي أجراها معها حين تقدمت لطلب العمل منذ سنتين. لقد صبّ اهتمامه آنذاك على علومها أكثر منه على حالتها الاجتماعية. لكنه كان واثقاً من أنها عازبة.

ـ متى كنت مع أطفال؟ في حياة أخرى؟

أومأت إيجاباً. كانت تلك حياة طالما تمنت أن تخلفها وراءها بعد أن تتخرج من الجامعة. كانت السنتان الماضيتان رائعتين. لم يكن هناك أطفال ترعاهم وتحبهم، لتضطر بعد ذلك إلى تركهم. لقد وجدت طريقها في الحياة، وهي سعيدة اليوم بمركزها في شركة «هنتر».

قالت هيلين: «إنها على حق يا جيرد. ستكون بحاجة إلى من يساعدك، حتى ولو كان لديك طفلة واحدة! سأرى إن كان بإمكاني العثور على من يرافقك، ستحتاج إلى استخدام مربية أو مدبرة منزل. ولكنك لن تنجح في العثور عليها سريعاً».

ـ ابذلي جهدك وحاولي أن تجدي لي تذكرة على أول طائرة تتجه الليلة إلى نيويورك.

نهضت كاسندرا عن كرسيها وسألته: «هل تريد أن نتكلم عن هذا المشروع أثناء انتظارك؟ يمكنني أن أبدأ بتطبيق بعض هذه الأفكار أثناء غيابك في نيويورك، إذا أعجبتك».

فقال لها بعد أن وجد شبهاً كبيراً بينها وبين مارلين، في تفضيلهما للعمل: «أريني ما لديك!».

وبعد أن استمع إليها لمدة ٤٥ دقيقة، وجد أن العمل الذي قامت به متكامل تماماً كما قالت له. والغريب أنها نسبت نجاح ذلك إلى كل فرد من

الفريق الذي ترأسه. لكنه كان يعلم ان الجميع يعمل تحت إشرافها، فقد كانت ممتازة في عملها، كما توقعها أن تكون حين منحها الوظيفة منذ سنتين، بعد انتقال مارلين إلى نيويورك بسنة تقريباً.

وبعد أن عرضت عليه مسودة المشروع، سألته بصوت يرتجف، وفي عينيها الترقّب: «هل نباشر فيه إذن؟».

ـ نعم، يمكننا أن نباشر، إنه عمل جيد.

كان جيرد لا يوفر المديح، حين يستحق الأمر.

ابتسمت، فشعر برعشة سرت في جسده كلّه. فقد أشرق وجهها لهذا المديح العفوي، وتألقت عيناها. ولأول مرة أخذ يتساءل كيف تبدو إذا نزعت نظاراتها وأسدلت شعرها حول وجهها بنعومة؟ كيف ستبدو عندما ترتدي شيئاً يبرز أنوثتها؟ وقبل أن ينتهي من تصوراته، أطلت هيلين من الباب.

ـ حجزت لك مقعدين للساعة الحادية عشرة والنصف الليلة. لكنني لم أجد بعد من يساعدك. وجدت من يمكنها الحضور بعد أسبوع، إنما لا شيء لهذا اليوم. كما أن المكاتب مغلقة الآن، لذا لا أتوقع أي أجوبة قبل الغد.

ـ ماذا سنفعل إذن؟

تمتم جيرد بذلك وأغمض عينيه يفكر بما عليه أن يؤديه من أعمال قبل الرحيل؟ تذكر أن موظفيه هم في غاية الكفاءة، وأنه يمكنه أن يوكل إليهم القيام بأي شيء إلى حين عودته من نيويورك. لكن مشكلته مع التوأمين غطت على نظام العمل العادي.

قالت هيلين: «ربما بإمكان كاسندرا أن تذهب معك، فقد قالت إنها خبيرة بشؤون الأطفال».

أجفلت كاسندرا عند سماعها ذلك، فقالت: «ماذا؟ مستحيل. لقد سبق وأقسمت أنني لن أقوم برعاية الأطفال أبداً. لا أريد أن أمضي، ولو ساعة واحدة، في رعاية أطفال الآخرين!».

حدّق كل من جيرد وهيلين إليها بنظرات غاضبة، فتنفست بعمق، وأدركت أنها تجاوزت حدودها. لكنها أصرت على موقفها. فقد انتهت من رعاية الأطفال، وهي الآن امرأة عاملة. ألم يمدح جيرد عملها، ومنحها الإذن للمباشرة بمشروعها؟ لديها أعمال أفضل من رعاية أولاد الرئيس.

قالت هيلين تهدئها: «أنت لن ترعيهما بالضبط، ستساعدين جيرد في رعايتهما على الطائرة، فحسب. إنه بحاجة إلى خبرتك».

هزت كاسندرا رأسها، وقد ساورها الاضطراب. لماذا يريدها الجميع أن ترعى الأطفال؟ وماذا عن احتياجاتها الشخصية؟ ومتى سيهتم شخص ما بما تحتاجه هي وتريده؟ إنها أكثر من مجرد حاضنة أطفال، وهي تحمل شهادة تثبت ذلك.

قال جيرد وقد ضاقت عيناه: «يبدو لي هذا أفضل اقتراح سمعته حتى الآن. ستكون مجرد رحلة قصيرة إلى نيويورك، وستناقش أثناء الرحلة هذا المشروع، وبإمكانك أن تزودني بأفكار عن رعاية الأطفال أثناء رحلة العودة. اعتبري هذا جزءاً من عملك».

ـ لكنه ليس جزءاً من عملي.

واجهته كاسندرا بهذا القول وقد بدا عليها التوتر. لم تجرؤ على تجاوز الحد مع رئيسها، ولكن عليها أن تدافع عن وجهة نظرها. لم تشأ أن تُعتبر حاضنة أطفال، لمجرد أنها امرأة.

افتتن جيرد لحظة ببريق التحدّي الذي بدا في عينيها، وقال لها: «هناك فقرة في عقد عملك تقول إن هناك واجبات أخرى قد يتطلبها العمل. وأنا بحاجة إلى عون، ولا يوجد أحد غيرك يقوم بذلك. وحالياً، اعتبري هذا الطلب من بين المهمات الأخرى».

فقالت كاسندرا لهيلين بلهجة متوسلة: «أنت سكرتيرته، ألا يمكنك مرافقته؟».

ـ للأسف، لا أقدر فأنا أرعى أمي العاجزة، ولا يمكنني تركها وحدها طوال الليل! فضلاً عن ذلك لست ضليعة بشؤون الأطفال!

تحولت كاسندرا إلى جيرد، وقالت له بنبرة احتجاج: «وظيفتي هنا هي تسويق الإنتاج، وليس مربية».

فابتسم جيرد ساخراً، وقد أوشك الغضب أن يبلغ مبلغه منه، وقال: «أنا أؤمن بالاستفادة من كل خبرات الموظفين. اعتبري نفسك مرغمة على القيام بهذه المهمة!».

ـ أنا أحتج!

قالت هذا بقوة، لكنها كانت تعلم، في أعماقها، أن لا أهمية لاحتجاجها، لأن جيرد لم يكن يصغي إليها.

ـ لقد حُسم الأمر إذن، نتقابل في المطار. أعطيها التفاصيل يا هيلين، فأنا ذاهب إلى البيت.

ثم التفت إلى كاسندرا وقال: «لا تتأخري!».

نظرت إليه وهو يخرج، وقد صعقها الظلم الذي شعرت به. ثم رأت العطف في عيني هيلين التي قالت لها: «إنه بحاجة إلى عونك، وقد قلت إنه لديك خبرة بشؤون الأطفال، ولا يملك جيرد حلاً آخر. إنها ليلة واحدة فقط يا كاسندرا!».

ـ لقد كنت دوماً المكلفة برعاية الأطفال. بقيت سنوات لا أسمع سوى (اتركيهم مع كاسندرا). كان عملي هنا فرصتي للتخلص من هذا كله، وهذا ما كنت أتمناه حقاً.

تنفست بعمق، وحاولت أن تنظر إلى الجانب المشرق من الأمر، ثم سارت إلى مكتبها. حاولت أن تستعيد في ذاكرتها حاجات الأطفال. في الحقيقة، لم يمضِ وقت طويل مذ كانت تعمل كحاضنة، ويمكنها حتماً أن تتدبر الأمر أثناء الرحلة في الطائرة، ويمكنها كذلك أن تثير اهتمام جيرد في هذه الرحلة، وربما استطاعت أن تحدثه عن أفكارها الأخرى بشأن العمل. وهكذا وضعت كاسندرا بعض الملفات في حقيبة يدها، ثم اتجهت إلى بيتها لتجهز نفسها للسفر.

***

اتكأ جيرد على الأريكة وأخذ ينظر إلى ساعة الحائط. عليه أن يتجه إلى المطار بعد عشر دقائق. لقد استرخى لأربع ساعات، لكن ذلك لم يخفف من اضطرابه، لأنه خاف ألاّ ينهض في الوقت المناسب، ففضّل أن ينام في الطائرة. راح يفكر في الوضع مرة أخرى، محاولاً أن يفهم منه شيئاً.

واستغرب أن أفكاره كانت تعود دوماً إلى «كاسندرا باولز». طوال السنتين اللتين عملت فيهما عنده، لم يكن ينتبه إلى وجودها. كانت تقوم بعملها بشكل جيد، وقد سبق وحصلت على ترقية، وعيّنت حديثاً مديرة لمشروع اتحاد الشركات العالمية، بعد أن استكملت الشروط المطلوبة. لكن تصرفها المفاجىء عصر هذا اليوم، جعله يجفل. كان جيرد يحب أن تكون الأشياء واضحة ومنطقية. لكن ذلك الاحتجاج لم يكن كذلك. فهي عادة، متحمسة ولطيفة، ولهذا كان رفضها مدهشاً وغير عادي، فقد جعلها اقتراحه، توشك على الانفجار. وتساءل لماذا. ربما يستكشف سرّ ذلك أثناء الرحلة.

ستصل الطائرة إلى نيويورك عند الثامنة تماماً. وسيتوجهان على الفور إلى مكتب المحامين. كان جيرد قد استحم وحلق ذقنه وغيّر ملابسه، وحمل حقيبته التي احتوت على ملابس عادية ليوم واحد. صحيح أنه لا يعرف الكثير عن الأطفال، لكنه كان يعرف أنهم يوسخون ملابس من معهم.

وتساءل عما عليه أن يأخذه معه لإلهاء طفلتين ما زالتا في طور الحبو.

وتحوّل تفكيره إلى الطفلتين. كيف تمكنت مارلين من إبقاء أمرهما سراً؟ قال محاميها إنها كانت خائفة من أن يطلب منها العودة إلى سان فرانسيسكو. هل هذا أمر سيء إلى هذا الحد؟ لقد عملا معاً في «ماكجورج» و«فيرغارسن»، وناقشا أمر إنشاء عمل، وذلك قبل أشهر من اتخاذ تلك الخطوة. وقد استثمرا في الشركة مواردهما كلها، ووفرا

www.elromancia.com

بزواجهما النفقات كافة. وقد كانت مارلين تحب العمل كثيراً. لكن، هل كان العمل لديها أهم من إنجاب الأطفال؟

نهض جيرد بعد أن ضايقته تلك الأفكار، وحمل حقيبته الصغيرة متجهاً نحو المطار.

***

جلست كاساندرا وحدها في غرفة الانتظار في المطار، تقرأ في مجلة وعند قدميها كيس ملابسها الصغير. لم تكن راضية عن قيامها بتلك المهمة، لكن عملها يحتم عليها القيام بذلك. وقد ارتدت بزة رسمية رمادية اللون وبلوزة بيضاء تحتها، إذ كانت تعلم أنهما سيتوجهان إلى مكتب المحامي حالما يصلان. وفجأة شعرت بإحساس غامض جعلها ترفع بصرها، وإذا بها ترى رئيسها يشق طريقه بين الجموع متجهاً نحوها.

تنهدت بنعومة وعدلت في جلستها. كان جيرد بغاية الوسامة، ولاحظت النظرات التي رمقته بها النساء المتواجدات في المطار. بدت بعض هذه النظرات سافرة، وبعضها الآخر أكثر خجلاً، لكن جميع النساء كن يتابعنه وهو يتقدم بخطواته الواسعة نحوها. كان شعره الداكن كثاً ومسرحاً بعناية. وشعرت بالانجذاب نحوه، للمرة الأولى. فقطبت جبينها. هل السبب في ذلك هو معرفتها بأنه أصبح عازباً؟ لقد أعجبها حين أجرى معها المقابلة من أجل الوظيفة، لكنها سرعان ما تجاهلت أحاسيسها تلك، وركزت اهتمامها على التقدم بعملها قدر الإمكان. ولكن ما هو هذا التغيير المفاجيء الذي طرأ، فأيقظ عندها تلك المشاعر مجدداً؟ عندما اقترب منها ابتسمت له بأدب، وقالت: «أنا هنا بحسب الأوامر، يا سيدي».

جلس بجانبها ونظر إلى كيسها وحقيبة الأوراق، فابتسم ساخراً: «تذكري فقط من هو الرئيس!».

فواجهت نظراته الساخرة بشيء من الغضب، وقالت: «وهل يبدو لك

أنني قد أنسى ذلك؟».

فاكتفى بالابتسام، بينما زمّت هي شفتيها وعادت تتصفح مجلتها.

ـ هل تنامين مرتدية بزّة؟

ـ ماذا؟

ونظرت حولها ثم حدقت فيه غير مصدقة.

ـ أنا أتساءل فقط. فقد كانت مارلين ترتدي بزّة طوال الوقت، ما عدا في الفراش. ظننتك سترتدين أثناء الرحلة شيئاً مريحاً أكثر من هذا.

ـ هذا هو المظهر الملائم لمقابلات العمل. فنحن سنقابل المحامين قبل أن نرى ابنتيك، أليس كذلك؟

ـ قد تكون الطفلتان مرتديتين أيضاً ملابس تظهرهما نماذج مصغرة لنساء الأعمال.

تمتم بذلك وهو يفكر في مارلين.. مارلين التي لم ينجح في معرفتها جيداً.

قالت له كاسندرا وهي تنظر إلى ملابسه: «أشك في لك! أرجو أن تكون قد أحضرت ثياباً أخرى، لأن الأطفال يلطخون ملابس الكبار، خصوصاً أثناء السفر».

فنظر إليها متكاسلاً، وقال وهو يفرك عينيه: «لدي ملابس أخرى في الحقيبة، أظننا سنبقى في نيويورك ليلة على الأقل. فإذا لم أحظ بفترة للنوم، سيغمى عليّ».

ـ يمكنك أن تنام في الطائرة.

تملكها العطف عليه. فقد بدا عليه الإرهاق. وكان من الصعب عليه أن يضطر للقيام بهذه الرحلة إلى نيويورك، مباشرة بعد وصوله من آسيا.

ـ سأضطر إلى ذلك. بعد عودتي من بانكوك، وذهابي الآن إلى نيويورك، لن أتمكّن من التفريق بين الذهاب والإياب. أتعلمين كم منطقة من العالم عبرت في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة؟

هزت رأسها وجالت بنظراتها على كتفيه، ومنهما إلى ساقيه الطويلتين. وعرفت أنها لن تستطيع التحدث معه عن العمل أثناء الرحلة. وتساءلت للحظة عما ستكون عليه الرحلة معه، لو لم يكن متعباً، أتراه محدثاً جذاباً؟ لقد سافر كثيراً وعمل كثيراً. أليس في أوائل الثلاثينات من عمره فقط؟ كم تحب أن تعرف كيف أنشأ الشركة مع زوجته وأين كان ذلك.

لكنها علمت أنها لن تعرف ذلك هذه الليلة، لا سيّما أنه كان يبدو مرهقاً كثيراً.

رآها تمعن النظر فيه، فراح يتصوّر ما الذي تفكر فيه. أتراها تريد التحدث إليه عن مشاريع المستقبل العملية وتحاول أن تجد الطريقة الفضلى للتطرق للموضوع؟ إنها لا تهتم به شخصياً. وهو لا يهتم بأي امرأة. كل ما يشغل اهتمامه هو تفسير تلك الرغبة في أن يرى شعرها مسدولاً، وعينيها من دون النظارات. فهو لا يتذكر أنه رآها مرة من دونها، ولا مانع لديه في أن يراها ترتدي ثوباً، أو سروالاً قصيراً.

رباه! لا بد أن التعب والإرهاق قد دفعاه إلى الهلوسة. أغمض عينيه محاولاً أن يركز أفكاره على لقائه المنتظر بابنتيه. ليس الوقت مناسباً لتخيلات تتعلق بموظفة عنده. . موظفة لا تنفك تذكره بزوجته الراحلة. لقد شبع من النساء العاملات، اللواتي يولين اهتماماً للتنافس في دنيا الأعمال، أكثر منه لإنشاء بيت ومستقبل وأسرة. عندما سيفكر مرة أخرى في بناء علاقة مع إحداهن، سيختارها رقيقة تنضح بالأنوثة، وتفضل الأزهار في الحديقة والبيت المريح على أوراق العمل، وكشوفات الحسابات المصرفية، هذا ما سيبحث عنه. . . هذا إذا أراد أن يتزوج مرة أخرى.

نادى صوت يدعو الركاب إلى الطائرة، وكان جيرد وكاسندرا يسافران على الدرجة الأولى. قدم جيرد المقعد بجانب النافذة لكاسندرا، قائلاً: «أريد أن أنام طوال الرحلة، ولا أحتاج إلى النظر من النافذة».

ـ شكراً، رغم أنه عليّ أن أخلد للنوم لبرهة، وإلا سيصيبني الدوار في الغد.

جلست كاسندرا بعد أن وضعت كيسها وحقيبة أوراقها في المكان المخصص لهما، ثم تشبثت بمجلتها وكأنها حبل النجاة. أدركت أنها أصبحت، بجلوسها بقربه، تشعر بحرارة جسمه وتشم رائحة العطر الذي يضعه. أرادت أن تبتعد عنه، ولكن ما من سبيل للخلاص. أخذت تتصفح مجلتها وقد انعقد لسانها وتملكها الارتباك. كان جيرد قد جلس بجانبها وأخذ يربط حوله حزام مقعده. كانت دوماً تحضر معه الاجتماعات وتراه جالساً على كرسيه. . . فهذا لم يكن شيئاً غريباً عنها، فما الذي حدث لها الآن؟

لم يكن في تلك الاجتماعات يجلس بجانبها. . ولم تكن تدرك قوة جسده، وعرض كتفيه ونعومة ذقنه. وجمدت أصابعها تصدّها عن ملامسة ذقنه، وتلمّس نعومتها.

ابتلعت كاسندرا ريقها بصعوبة وهي تحوّل نظراتها إلى النافذة. لم يكن هناك ما تراه في هذا الظلام سوى الضوء المحيط بالطائرة وعجلاتها. ومع ذلك بقيت تنظر من خلال النافذة، إذ شعرت بأن ذلك أكثر أماناً.

قال لها: «حالما تقلع الطائرة، سأدفع مسند الكرسي إلى الخلف وأنام. لا أريد طعاماً ولا شراباً، إذا سألك أحدهم».

التفتت إليه وهي تأخذ نفساً عميقاً. كان وجهه على بعد سنتمترات من وجهها، بحيث أمكنها أن ترى الإرهاق في عينيه اللتين كانتا تعكسان صورتها، وراحت أنفاسه تلفح خدّها. ابتلعت ريقها وقد شعرت بالتوتر لرؤيته قريباً منها إلى هذا الحد.

ـ هل سبق لك أن سافرت إلى نيويورك؟

هزت رأسها نافيةً، وقد أخذ قلبها يخفق بعنف. وسمّرتها الأحاسيس، فلم تستطع تحويل نظراتها عنه.

ـ آسف لأنه لن يتسنّى لنا الوقت لزيارة المدينة بكاملها.

ـ أرجو أن أتمكن من الذهاب في إجازة يوماً ما. أحب أن أرى المعالم الأثرية، وقد أذهب للتفرج على «برودواي».

ـ لا بأس بزيارة المدينة، لكنني أفضل دوماً سان فرانسيسكو.

وتوقف قليلاً عن الكلام، ثم سألها مجدداً: «هل أنت من «باي ايريا؟»

فهزت رأسها، وقد شعرت بأنها امرأة غبية وتنحنحت قائلة: «لقد نشأت بالقرب من «لوس أنجلوس». لكنني أفضل الآن «سان فرانسيسكو».

ـ أين كنت تعيشين؟

ـ في مكان صغير في «تلغراف هيل».

ـ هل يقصد ذاك المكان سائحون كثر؟

ـ نعم، ولا سيما في الصيف، فبرج «كوا تاور» مكان مرغوب. كنت أحب الصعود إليه والنظر إلى المدينة. فالمنظر رائع تماماً من هناك.

ـ كم عشت هناك؟

أخذ يطرح هذه الأسئلة، وقد تعجّب لما لم يكن يعرف تلك المعلومات عن موظفة تعمل عنده منذ سنتين.

ـ تركت موطني قبل أن أستلم العمل عندك بأسبوعين.

أجابته وهي تتساءل لماذا لا يتكىء إلى الخلف في كرسيه؟ ولماذا يبقى بهذا القرب منها، ما يجعلها تشعر وكأنهما وحدهما في الطائرة. تلهفت إلى الابتعاد عنه. كانت عيناه قاتمتين مسمّرتين عليها. وأعجبها الضوء اللامع في أعماقهما. وتساءلت عما تراه يفكر فيه عندما ينظر في عينيها.

ابتدأت مضيفة الطائرة دورة التفقد، أخذت كاسندرا نفساً عميقاً ونظرت إلى المرأة. كانت تعلم أن جيرد استمرّ ينظر إليها، لكنها ركزت نظراتها على المرأة وكأنها لم تر مثلها من قبل. وإذ شعرت بالإرهاق يتملكه، أدركت أنه لم يبق لديه سوى عدة دقائق ليستسلم للنوم. عندئذٍ

ستصبح الرحلة أسهل.

***

استيقظ جيرد عندما بدأت الطائرة تهبط. وعندما شعر بالضغط في أذنيه، أخذ يتثاءب للتخلص منه. شعر بشيء ثقيل دافىء ملقى على كتفه، وعندما التفت، أدرك أن كاسندرا اختارته وسادة لها أثناء الليل. وكانت بطانيات الطائرة تغطي الاثنين، بينما كان الكرسيان مائلين إلى الخلف.. هل فعل هو ذلك؟ أم هي؟

تحرك قليلاً وقد خدرت ذراعه. منذ متى تلقي برأسها على كتفه؟ كان الجو عابقاً برائحة ورد خفيفة. هل هو عطرها؟ دنا منها أكثر وراح يشمها. ما أحلى ذلك.. إنه ورد حتماً. أغمض عينيه محاولاً أن يتخيلها تشتري ذلك العطر، وتضعه كل صباح. وبشكل ما، أثار ذلك فيه صورة امرأة مختلفة، ناعمة أنثوية... وليست سيدة أعمال طموح متزمتة. عليه أن يكبح نفسه، فهي ليست هنا لكي تكون مسرحاً لتخيلاته الشخصية، ولكن لتكون حاضنة لطفلتيه أثناء رحلة العودة. وهذا كل شيء. عندما يصلان إلى سان فرانسيسكو، ستعود هي إلى عملها في الشركة، بينما تبحث هيلين عن مربية للتوأمين. عليه أن يفكر بأمور كثيرة أخرى، غير كاسندرا باولز. وعلى الفور، جعله التفكير في التوأمين يستيقظ تماماً، وهزّ كاساندرا، وانتظر ريثما تستيقظ.

ـ آه، أنا آسفة.

اندفعت إلى الخلف، ثم استقامت في جلستها على الفور. كان خدّها متورداً دافئاً. نظرت إلى جيرد، فرأى أن النظارات لم تكن تغطي وجهها، وبدت عيناها قاتمتين غامضتين، فشعر جيرد بالانجذاب نحوها. بدت أصغر سناً، وخجولاً، وبغاية الأنوثة. كانت ضفيرتها قد انحلت أثناء النوم، فأحاطت بوجهها خصلات من الشعر القاتم اللامع. عندئذٍ هرب منه كل تفكير في النوم، وازداد اهتمامه فجأة بهذه المرأة.

قالت وهي تبتعد عنه، وتسوّي ملابسها تحت البطانية، وتعيد نظاراتها على وجهها: «لم أقصد أن أنام عليك».

شعر جيرد بحافز يدفعه إلى دفن وجهه في شعرها المنسدل ليشمّ عطرها الوردي. لكنه أشاح بوجهه مغمضاً عينيه. لقد مضى عليه وقت طويل من دون رفقة امرأة. رغم أن زواجه كان زواج مصلحة، وقد تركته مارلين منذ ثلاث سنوات، إلا أنه كان حريصاً على عهوده الزوجية، فكان يمضي لياليه وحده. لكن الآن، وقد توفيت زوجته، أصبح حراً للتفكير بالنساء الأخريات. ربما ليس منجذباً إلى كاسندرا شخصياً، بل أي امرأة أخرى كانت لتؤثر عليه بهذا الشكل.

لكنه، عندما فتح عينيه، لم يهتم بتحليل السبب في عدم شعوره بأي انجذاب نحو مضيفة الطائرة الشقراء الجميلة. بدلاً من ذلك، حاول أن يتجاهل انجذابه إلى المرأة الجالسة بجانبه، وركز أفكاره على ما ينتظره في مكتب المحامي.

عندما حطت الطائرة، حمل جيرد أكياس كاسندرا، فقالت باحتجاج وهي تلحق به: «يمكنني أن أحمل أمتعتي بنفسي!».

ـ سيكون لديك حمل ثقيل فيما بعد. أما الآن، فمن الغباء ألا تنتهزي كرم أخلاقي.

فتمتمت: «كرم أخلاق... بل قل إنه استبداد».

ـ لماذا تقولين ذلك؟

وشعر بالتسلية لسماع تذمرها هذا. هل هي دوماً غريبة الأطوار عند الصباح؟ إنها المرة الأولى التي يراها فيها على طبيعتها. إنه يفضلها أكثر هكذا، عندما لا تبدو موظفة منضبطة.

ـ لأنك أمرتني بالمجيء إلى هنا، وأنا لم أكن أريد ذلك!

ـ ألا تحبين الأولاد؟

ـ لا أحب أن أعتني بهم.

ـ متى فعلت ذلك آخر مرة.

كان مطار كندي يزخر بالحركة، وكان رجل يقف بين الجموع ممسكاً ببطاقة عليها اسم «جيرد». وكان هذا سائق السيارة الليموزين. فناوله جيرد الحقائب، ثم تبعه وهو يضع يده على ظهر كاسندرا. لم تكن مثل مارلين على الإطلاق. مشت شامخة الرأس خلف السائق.

عاد جيرد يقول بنبرة فولاذية: «سألتك عن الأولاد».

ـ طوال حياتي تقريباً، كان عليّ أن أعتني بالأولاد، ولهذا أقسمت أنني، عندما أحظى باستقلاليتي، لن أفعل ذلك مرة أخرى. لست سعيدة حقاً بهذه المهمة. لو أنك لم تأمرني، لما كنت هنا الآن.

قالت هذا متذمرة. ورغم غيظها من رئيسها المستبد، إلا أن حركة المطار الدولي لفتت انتباهها.

ـ ولكن فكّري في النقاط الجيدة التي ستحصلين عليها، لمساعدتك رئيسك في هذا الأمر.

ـ أفضل أن أكتسب تلك النقاط بفضل كفاءاتي المهنية على أن أكتسبها لكوني حاضنة أطفال!

ـ ربما ستحظين بالترقية لقيامك بهذه المهمة.

قال هذا بهدوء وقد لاحظ غيظها.

ثم تابع يسألها: «حدثيني عن ملاحظاتك حيال الأطفال».

ـ لا أحب ذلك، وأنا آسفة لأنني فتحت فمي أمس.

ـ عن معرفتك برعاية الأطفال؟

ـ كانت زلة لسان.

وإذ بلغ به الفضول حدّه، أخذ يتساءل عما إذا بإمكانه أن يعرف القصة الكاملة منها، قبل أن يقابلا محامي مارلين.

* * *

٢ ـ وردتان بين الأشواك . .

قال جيرد لكاسندرا عندما استقرا في المقعد الخلفي من الليموزين: «عليّ أن أبدي إعجابي بلباقتك!».

فتعجبت كاسندرا وسألته: «لم تقول ذلك؟».

ابتعدت عنه في السيارة، قدر الإمكان، فراح يبتسم للمسافة التي جعلتها بينهما. أتراها لا تشعر بالارتياح بقربه؟ وفكر لحظة في أن يختبر نظريته هذه، لكنه سرعان ما غيّر رأيه.

ـ أي امرأة أخرى كانت ستزعجني بالأسئلة عن زواجي، وزوجتي ولما لديّ ابنتان عمرهما سنتان، ولا أعرف عنهما شيئاً.

لوت كاسندرا رأسها، ثم ابتسمت بخبث وقالت: «لا شك أنني أرغب بمعرفة كل ذلك، لكنني أحترم رغبتك في التحفظ. كما أنني عرفت عنك أموراً كثيرة في المكتب. تقول الشائعات إنكما تزوجتما لتضما أموالكما معاً وتؤسسا الشركة. ثم انتقلت هي إلى نيويورك منذ سنوات، لتفتتح فرعاً للشركة وتحاول أن تغزو أسواق أوروبا. وقد أنجبت لك طفلتين لم تخبرك بشأنهما. إذا كنت تودّ إخباري بأكثر من ذلك، فلن أقاطعك».

أجفل جيرد وكاد يضحك لهذه الجرأة غير المتوقعة منها. كان يعلم أن ما أخبرته به لم يكن سراً، ما عدا بالنسبة إلى التوأمين. وازداد فضوله وهو يراها تعرف الكثير عنه. . . هل هناك سبب خاص دفعها لذلك؟

ـ لم يكن زواجنا عادياً، كان زواج مصلحة. لقد تطلب تأسيس

الشركة منّا جهداً بالغاً، ووقتاً طويلاً ومالاً كثيراً. وكان الاشتراك في بيت واحد سيقلل من النفقات، ويزيد من ساعات العمل.

لم يكن يحاول تبرير العلاقة التي ربطته بمارلين، بل كان يشرح لها الأمر. لكنه لم يدرِ ما الذي دفعه للقيام بذلك.

ـ يبدو وكأنكما قمتما بتلك الخطوة، لتنسيق العمل بينكما.

ـ نعم، كان هذا مبدأنا.

قال ذلك وتوقف فجأة عن الكلام، إذ لم يعد يذكر كيف بدأ ذلك كله. فهما بالكاد تقابلا، هو ومارلين خلال السنوات الثلاث الأخيرة في واشنطن، لغداء عمل.

وتابع يقول: «أكثر ما كانت تطمح إليه مارلين هو أن تنجح الشركة، فقد وجدت جوّ العمل أكثر تحدياً وإثارة، من علاقتها بي».

فقالت كاسندرا وهي تراقبه عن كثب: «إنه فعلاً عالم تحدٍّ وإثارة!».

ـ أعلم هذا. أفهم الآن رغبتها المفاجئة في الانتقال إلى نيويورك لافتتاح فرع هناك. لم تعد قط إلى سان فرانسيسكو خوفاً من أن تلتصق بالطفلتين بدلاً من العمل، كما أظن.

ـ لا تحب كل النساء الجلوس في البيت وتربية الأطفال.

ـ أظنك كذلك!

بدا واثقاً مما قاله، بعد الحديث الذي دار بينهما أمس في المكتب.

قالت كاسندرا: «ما أريده الآن هو فرصة أبني بها حياة خاصة بي، وربما، في نهاية المطاف، سأتزوج وأنجب أولاداً. فالأولاد رائعون حين يرغب المرء في إنجابهم. لكنني لا أريد أن أُجبَر على القيام بأي شيء».

ـ كما فعلت بك بالنسبة إلى هذه المهمة؟

فأومأت إيجاباً، وهي تنظر من النافذة إلى ناطحة سحاب مانهاتن. كانت الغيوم البيضاء تزيّن صفحة السماء الزرقاء، وكانت حركة السير مزدحمة على الطريق الرئيسية. تساءل جيرد عما إذا أشاحت نظرها عنه لتنظر إلى المدينة حقاً، أم أنها تحاول أن تبعد نفسها عنه لتستعيد رباطة

جأشها.

ـ لا تكوني قاسية، يا كاسندرا، فأنا لم أطلب منك الكثير! كل ما طلبته منك هو أن ترافقيني ليوم واحد، ريثما أحضر الطفلتين إلى المنزل. هيلين تبحث عن مربية لهما، وأنت تملكين خبرة تنقصني. لو كنت مكاني لما كنت انتهزت فرصة وجود شخص ضليع بهذه الأمور، بقربك؟

فقالت دونما اكتراث: «ربما».

ـ ما الذي أكسبك هذه الخبرة؟ هل كان لديك الكثير من الأخوة؟

كان يعلم أنه تطرّق إلى أمور لم تشأ أن يتطرق إليها، لكنه شعر بالفضول لمعرفة ذلك. كانت كاسندرا باولز، بجديتها ورزانتها، تترك لدى الآخرين انطباعاً بأنها مجرد موظفة جيدة، لكن لا بد أن لها حياة خاصة وهو لا يطلب من موظفيه أن يمضوا أوقات فراغهم كلها في العمل.

أجابت: «في الواقع ليس لي أي إخوة!».

ـ لدينا حوالى نصف ساعة لنصل إلى المكتب القضائي، لم لا تخبريني من أين اكتسبت تلك الخبرة بشؤون الأطفال؟

ومضت دقيقة فكر فيها في سبب إصراره على معرفة المزيد منها. أهو الفضول فحسب، أم أنه يريد أن يصرف ذهنه عن التفكير في تينك الطفلتين اللتين تنتظرانه؟ سبق له أن تفاوض بشأن صفقات بملايين الدولارات، لِمَ يشعر الآن إذاً بالتوتر للتفكير في مواجهة طفلتين صغيرتين؟

طال الصمت، فالتفتت كاسندرا ببطء لتنظر إليه. لم تكن تحب الحديث عن الماضي. ولطالما تمنت أن تكون لها أسرة كما في الحكايات الخرافية... لكن كان هذا حلماً بعيداً عن واقعها. ورأت أن لا ضرر في أن تشرح له سبب عدم رغبتها في القيام بهذه الرحلة.

ـ ماتت أمي عندما كنت في السابعة. ولم يكن لدي أقرباء آخرون، فانتهى بي الأمر في دار للرعاية. كان المنزل الذي وُضعت فيه عندما كنت في العاشرة يعجّ بالأولاد، ولعبت دور حاضنة للأطفال لمدة ثماني سنوات. وعندما أصبحت في الثامنة عشرة، تخليت عن ذلك وأقسمت ألاّ

أقوم بهذا العمل مجدداً!

ـ إلى هذا الحين!

ـ لا، فعندما ذهبت إلى الكلية، احتجت إلى نقود. وكان العمل الوحيد الذي أحسن القيام به هو رعاية الأطفال، فكنت أقوم بدور الحاضنة لأولاد أساتذتي في الجامعة، وهكذا أمضيت أربع سنوات أخرى كحاضنة لأطفال الآخرين!

ـ والآن لأطفالي.

فقطبت جبينها وقالت: «هذا صحيح، لم يكن هذا ما توقعت القيام به، حين وظفتموني في الشركة. فأنا أحمل شهادة في التسويق، وليس في رعاية الأطفال. أريد أن أستفيد من شهادتي، لا أن أكون حاضنة أطفال».

ـ كما أنني لم أفكر أنني قد أحتاج إلى حاضنة في الشركة، إذ لم أكن أعلم أن مارلين ولدت توأمين.

ولاذ جيرد بالصمت، متسائلاً مرة أخرى كيف استطاعت مارلين أن تخفي عنه أمراً كهذا. فمع أنه ما كان ليتمكن من إعادتها إلى سان فرانسيسكو، إلا أنه كان من حقه أن يعلم بخبر ابنتيه.

***

كان المكتب القضائي التابع «لستلر» و«راندال» و«بيبودي» في الطابق الثالث والثلاثين، من ناطحة سحاب. استقل جيرد وكاسندرا مصعداً سريعاً، وسار جيرد نحو باب المكتب ففتحه، ووقف جانباً لتمرّ كاسندرا، وعندما دخل، تسمّر على الفور بعد أن رأى طفلتين تلعبان بجانب أريكة مخملية قرمزية اللون. توقفت الفتاتان عن اللعب والتفتتا إليه وإلى كاسندرا تحدقان فيهما بعيون زرقاء لامعة.

كانتا صغيرتين للغاية. أخذ جيرد يحدّق بهما دون أن يتفوّه بكلمة، وراح يتساءل عما تفكران فيه.

ـ مرحباً.

حيّت كاسندرا الطفلتين ودنت منهما. شعرت بالشفقة عليهما بعد أن تذكرت مدى خوفها، حين ماتت أمها وذهبت هي لتعيش مع غرباء. لم يكن أي شيء مألوفاً لديها، ولا معزياً. وكم افتقدت أمها حينذاك!

ركعت على ركبتيها باسمة أمام الطفلتين، ثم لمست يد كل منهما وقالت: «مرحباً، أنا كاسي، ما اسمكما؟».

انتبه جيرد إلى الرقة والدفء في صوتها. ابتسمت الطفلتان ونظرتا إلى كاسندرا ثم أخذتا تقولان أشياء غير مفهومة. هل ستفهم كاسندرا أي شيء مما تقولانه؟ كان قد نسي أنهما صغيرتان ولا تتكلمان جيداً.

ـ السيد هنتر؟

حيّته موظفة الاستقبال من وراء مكتبها، وهي تبتسم بمودّة.

ـ نعم، أنا هو.

ـ لديك طفلتان رائعتان، لقد رعيتهما طوال الاسبوعين الماضيين. أنا آسفة لوفاة زوجتك!

أومأ جيرد وقد شعر بالغرابة. لم يكن يعرف شيئاً عن الأطفال، ولا عن ابنتيه. من حسن الحظ أن كاسندرا تعرف كل شيء، وقد ألفتها الطفلتان كما يألف البط الماء. ها هن يتحدثن ويضحكن. وشعر جيرد للحظة بالغيرة تنتابه. وأخذ ينظر إليهن، فيما كانت موظفة الاستقبال تتصل بالمحامي لتخبره بوصول جيرد.

ـ سيكون السيد راندال معك بعد لحظة.

قالت الموظفة ذلك من دون أن تلحظ تردده.

ما إن دنا جيرد من الطفلتين حتى زالت كل الشكوك التي ساورته. كانتا تشبهانه تماماً حين كان طفلاً، ولكن بترجمة أنثوية. لم ير فيهما أي شيء من مارلين ما عدا عينيها الزرقاوين، أتراهما ورثتا طموحها أو طباعها؟ قال لهما: «مرحباً!».

نظرت إليه الطفلتان بحذر ووضعت الطفلة ذات القميص الأصفر إبهامها في فمها وهي تنظر إليه. فقالت كاسندرا وهي تزيح شعر الطفلة

التي تمتص إبهامها، عن وجهها: «أنت طويل جداً، إما أن تحملهما، وإما أن تركع».

حدق جيرد إلى العيون التي كانت تراقبه، ثم جلس ببطء على حافة الأريكة، وقد استولى عليه الشعور بالضياع، ولم يعجبه ذلك. لقد قام، على مرّ السنوات الماضية، بتوسيع شركة هنتر إلى البلاد القائمة على المحيط الهادىء، وها هوذا الآن تتغلب عليه مشكلة طفلتين.

قالت كاسندرا للطفلة ذات القميص الوردي: «ابتسمي، هذا «بابا»! أخبريه باسمك».

فقالت الطفلة وهي ترمقه بنظرات ثابتة: «أشلي».

وقالت الطفلة الأخرى وهي تخرج إبهامها من فمها: «أنا بريتاني».

فقالت كاسندرا: «أشلي وبريتاني، هذا هو بابا. هل يمكنكما أن تقولا بابا؟».

مضت لحظة صعق فيها جيرد للتغير الذي بدا على وجه كاسندرا. وتمنى لو تبتسم له بهذا الشكل. ولأول مرة أدرك كم هو محظوظ لأنها أجابته عندما استدعى هيلين أمس في المكتب. فما كان بإمكانه أن يتعامل مع هاتين الطفلتين وحده. وقفت الطفلتان بجانب كاسندرا تهزان رأسيهما. ثم أخذت أشلي تثرثر بالكلام وراحت كاسندرا تستمع إليها وكأنها تفهم ما تقول، وهي تبتسم. ولعلها فهمت... أما هو فلا.

يُفترض بالأب أن يتصرف بشكل أفضل. ماذا يمكنه أن يفعل؟ بدت له دنيا الأعمال والصفقات أسهل من التعامل مع هاتين الطفلتين.

بقيت كاسندرا مع الطفلتين في غرفة الاستقبال، عندما دخل جيرد للاجتماع بمحامي مارلين، توماس راندال. وبدا أن الطفلتان ألفتاها جيداً. شعرت كاسندرا بالشفقة عليهما. لا بدّ أنهما عانتا الكثير بعد وفاة والدتهما. وقررت أن تبدل عهدها لتجعل الأمور أسهل بالنسبة إليهما.

جلست على الأريكة وأجلست كل واحدة منهما إلى جانب: «سأخبركما بقصة ابنتين كبيرتين قابلتا البابا للتوّ...».

www.elromancia.com

حاولت أن تشرح لهما ما ينتظرهما بجمل بسيطة. صوّرت لهما السفر بالطائرة وكأنها مغامرة كبيرة، والانتقال إلى سان فرانسيسكو ببساطة غسل الأسنان.

عندما عرض توم راندال المحامي أن يقرأ الوصية بصوت عالٍ، طلب منه جيرد أن يتصفحها بنفسه. ولم يستغرق هذا سوى عدة دقائق. فقد كانت الوصية قصيرة بسيطة. كانت مارلين توصي فيها بنصف الشركة التي تملكها معه لابنتيها، بإدارة وإشراف زوجها والد الطفلتين. عندما انتهى جيرد من القراءة، نظر إلى المحامي وقال وهو يتساءل كم يعرف هذا الأخير عن زواجهما: «لقد ماتت شابة، وقد فاجأني موتها!».

فأومأ المحامي قائلاً: «لقد ذهبت لزيارة زوجتك قبل وفاتها مباشرة، كانت مريضة للغاية. أظنها أرهقت نفسها كثيراً ولم يكن لديها أي طاقة عندما دنت ساعتها».

فقال جيرد: «ستفتقدها الطفلتان».

ـ لا أظن ذلك. فقد قامت برعايتهما مجموعة من حاضنات الأطفال ومدبرات المنزل، في السنتين الأخيرتين. ولا أعتقد أن الطفلتين متعلقتان بقوة بأي شخص، أو حتى بأمهما. وتقول موظفة الاستقبال عندي إنهما انسجمتا معها بسهولة.

ـ سأجعل حياتهما مستقرة، ما إن أعود إلى سان فرانسيسكو.

ـ هذا ما توقعناه. لديّ هنا كل المعاملات المكتوبة. يمكنك أن تطلب منّا أي شيء يمكننا القيام به.

فقال جيرد وهو يقرأ الأوراق القانونية الخاصة بمارلين: «هلاّ أرشدني أحدكم إلى المقبرة!».

عندما أنهى جيرد حديثه مع المحامي، عاد إلى حيث كانت كاسندرا تقرأ للطفلتين قصة بصوت عال. لم يرينه في البداية، فراح يتأملهما وتملكه حنين غريب. هكذا تبدو الأسرة. الأم تكرس حياتها لأطفالها، والجميع في انتظار الأب.

لم يدرك من قبل أنه لا يملك أدنى فكرة عمّا هي الأسرة. فقد ربّاه جده الذي كان عجوزاً فظاً. ونشأ في منزل اقتصر سكانه على الرجال لكنه، على الأقل، وجد جدّه ليعيش معه عندما مات والداه، ولم يذهب إلى دار رعاية مثل كاسندرا، ولن يدع ابنتيه تلاقيان هذا المصير.

كان هدفه في السنوات الماضية أن يحقق النجاح، فلم يفكر قط في إنشاء أسرة، وها قد قُدمت إليه الآن أسرة جاهزة. هل ستكون خطوته التالية البحث عن الزوجة؟

نظرت إليه كاسندرا وسألته: «كيف تجري الأمور؟».

ـ على ما يرام، لقد انتهيت هنا، يمكننا أن نذهب الآن إلى شقة مارلين، لنحزم أمتعة الطفلتين وألعابهما. كما أنه عليّ أن أعرف ما عليّ عمله لإغلاق الشقة. بعد ذلك، سوف أمرّ بالمكتب، لأتأكد من أن كل شيء قد انتهى هناك. سيكون «بول» في المكتب. أريد أن أخاجع معه المشاريع الحالية.

شعر جيرد بتوتر كاسندرا، وتذكر ما قالته من أن الجميع يوكلون إليها دائماً حضانة الأطفال، ولكنه كان مجبراً على القيام بذلك. لن يأخذ بعين الاعتبار ما تحبه أو لا تحبه، فقد بدت طبيعية تماماً مع هاتين التوأمين، ثم إن ذلك لن يستغرق أكثر من يوم واحد. بعد ذلك، ستعود إلى المكتب وتبتعد عن الطفلتين طوال حياتها إذا شاءت.

وقفت كاسندرا وقالت تخاطب الطفلتين: «هيا بنا، فقد حان وقت العودة إلى البيت. بريتاني، تعالي معي، وأشلي، اذهبي أنت مع بابا!».

لم يكد يفهم معنى كلمة بابا... إنه إذن والد هاتين الطفلتين. حملت كاسندرا بريتاني ونظرت إلى جيرد من خلال نظاراتها. هل هناك لمحة من التحدي في نظراتها؟

حمل جيرد أشلي التي كانت خفيفة كالريشة، ونظر إلى عينيها، فربتت على خده وابتسمت، فشعر بقلبه ينفطر. بدت له صغيرة وحيدة، ليس لها أحد غيره يرعاها. وتملكه الذعر. هل سينجح في ذلك؟

إنه لا يعرف شيئاً عن الأبوة. ولو عرف أن زوجته حامل، لحاول التعرف إلى كل هذه الأمور، كأن يقرأ الكتب ويتعلم ما عليه أن يفعل، لا أن يجد نفسه فجأة أباً، من دون إنذار مسبق.

ـ دعنا نذهب يا بابا!

بدا الهزل في عيني كاسندرا وهي تقول ذلك، لكنها كبحت ابتسامتها. لا فائدة من أن تجعل جيرد يعلم أن تردده وعدم ثقته بنفسه، في هذا الوضع، قد أثّر في نفسها. كان بالغ الحيوية في المكتب، لكنه يبدو الآن أشبه بمراهق مرتبك قبل أول موعد غرامي له. طرقت بعينيها وسارت أمامه. ما الذي جعلها تفكر في المواعيد الغرامية؟ إنها حاضنة أطفال لا غير. حاضنة يلقي بعبء طفلتيه عليها ثم يخرج إلى مكتب نيويورك متخلياً عن كل مسؤولية لهذا النهار. على المرء أحياناً أن يقفل فمه.

تبعها حاملاً حقيبة التوأمين الصغيرة، وانتظرته كاسندرا قرب المصعد، وسمحت لبريتاني أن تضغط على زري المصعد، فالأطفال يحبون دوماً التجربة وتعلّم الأشياء. ربما غضبت من أبيهما لإصراره على أن ترافقه، لكنها لن تفرغ غضبها على هاتين الطفلتين.

***

كانت شقة مارلين واسعة، أنيقة الأثاث، وتقع في وسط راقٍ. عندما دخلوا إليها، أنزل جيرد أشلي إلى الأرض، ووضعت كاسندرا بريتاني بجانبها. نظرت الطفلتان إليهما، فسألتهما كاسندرا: «أين غرفتكما؟».

أشارت أشلي إلى آخر الردهة.

حين وصلوا إلى غرفة الجلوس، وضع جيرد الحقائب على الأرض بجانب خزانة كتب مزخرفة كانت تحتل معظم الغرفة. وألقى نظرة على المكان وقد عجب لاهتمام مارلين بالمظاهر الأنيقة. كان منزلهما في نيويورك مريحاً ذا أثاث متين وبعض التحف الرخيصة. ربما يناسب هذا الطراز هنا فكرتها عن الإقامة في نيويورك. لم تعجبه الشقة كثيراً، فقد كان

يؤثر الراحة على الأناقة.

عندما همّت كاساندرا باللحاق به إلى الغرفة، قالت بريتاني: «لا، لا».

ـ ماذا؟

هزت بريتاني رأسها وهي تنظر إلى الغرفة بحذر، وتابعت تقول: «لا، لا».

ورن جرس الهاتف.

سار جيرد ليجيب، وقد تملكته الحيرة لتصرف بريتاني.

ـ ألو، جيرد هنتر يتكلم.

ـ السيد هنتر؟ معك «آني سيمونز». اتصل بي السيد راندال وطلب مني أن أكلمك. لقد كنت حاضنة الطفلتين، قبل وفاة والدتهما. فهمت أنك ستأخذهما إلى سان فرانسيسكو. لذا، فكرت أن أسألك إذا ما كنت بحاجة إلى مساعدتي، فأنا لن أبدأ عملاً آخر قبل نهاية الأسبوع.

نظر جيرد إلى كاسندرا: «في الواقع لقد قررنا الرحيل غداً، ولكن إذا تمكنت من الحضور اليوم، سيكون هذا رائعاً. بإمكانك أن تساعدينا في حزم أمتعتهما، وربما تقترحين علينا أين نلقي بالأشياء التي لن نأخذها معنا».

ـ بكل تأكيد، سأكون هناك عند الواحدة.

نظر جيرد إلى الساعة التي لم تبلغ الثانية عشر بعد، فقال: «حسناً، سنكون بانتظارك».

حين عاد كانت كاسندرا والطفلتان قد اختفتا. تبع أصواتهن فوصل إلى باب غرفتهما. كانت فسيحة يحتلها سريران صغيران، وخزانة ذات أدراج مكشوفة ودمى وحيوانات محشوة متناثرة في كل مكان أكثر مما يوجد في متجر ألعاب. بدا واضحاً أن مارلين لم تكن تبخل بالهدايا على طفلتيها.

وقفت بريتاني بجانب الجدار تنظر إلى كاسندرا فيما بقيت تضع

إبهامها في فمها. عجب جيرد لرؤيتها تضع دوماً إصبعها في فمها، ولاحظ الفرق بين الشخصيتين. كانت أشلي ودوداً فضولية ولا تخاف. بينما بدت بريتاني سلبية تتأمل الأمور بحذر، وخجولاً هادئة. هل كان يقارن بينهما لأنهما توأمان، أم لأنه من الطبيعي أن ينتبه الوالد لهذا الفارق بين ابنتيه التوأمين؟ عليه أن يتعلم الكثير!

ـ قالت حاضنة الطفلتين إنها ستأتي عند الساعة الواحدة لتساعدنا في حزم أمتعتهما.

أومأت له كاسندرا، ثم خلعت سترتها وألقت بها على أحد السريرين. فراح جيرد ينقل نظراته بخفة على جسدها الرشيق.

لا يمكنه أن ينكر تلك الجاذبية التي شعر بها نحو كاسندرا باولز. والأفضل أن تبقى الأمور عند هذا الحد. إنه افتتان عابر، وسرعان ما يعود بعده إلى عمله وينساها... أو هذا ما كان يرجوه.

ـ إذا عثرت على الحقائب، سأبدأ بحزم الأمتعة.

قالت كاسندرا هذا وهي تفتح درج الخزانة. فقد قررت أن تبدأ بحزم الأمتعة، إلى أن تحضر حاضنة الطفلتين، فتقومان معاً بفرز ما تفضله الطفلتين من ألعاب وكتب.

كما أنها ستتأكد منها عن عادات التوأمين، وما تحبانه وما تكرهانه، فالطفلتان المسكينتان بحاجة إلى عون كبير، وهما تنتقلان إلى نظام حياة مختلف كلياً. نظرت كاسندرا إلى جيرد فأجفلت وهي ترى نظراته شاخصة عليها. ابتلعت ريقها بصعوبة، وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها، ثم انتقلت من مكانها وأدارت له ظهرها. كان الإحساس الذي شعرت به غريباً لم تختبره من قبل. أتراه الغثيان؟ لا، بل هو نتيجة الشعور المستمر بوجود جيرد معها.

راحت تفكر بكيس ملابسها الذي وضعت فيه بنطلون جينز وقميصاً. ربما عليها أن تغير ملابسها، قبل أن تقوم بأي عمل آخر.

ـ قد يستغرق العثور على الحقائب بعض الوقت.

قال جيرد هذا وهو يخرج إلى الردهة، ليدخل غرفة النوم الثانية. ما الذي يريده؟ آه، حقائب للطفلتين. وضغطت كاسندرا كفيها على خديها وقد شعرت بالحرارة. كانت تتصرف كمعتوهة. إنها هنا للاهتمام بطفلتيه ولا شيء آخر. عليها أن تتذكر ذلك كل دقيقة!

تبعت جيرد فوجدته في غرفة، لا بد أنها كانت غرفة زوجته، فقد كانت أغراض مارلين مبعثرة في كل مكان فيها. كان السرير غير مرتب، وكأن مارلين استيقظت في ذلك الصباح لتتوجه إلى المستشفى. شعرت كاسندرا بوخزة ألم. كانت مارلين وحيدة وهي تموت. ولو أن رحلة جيرد إلى بانكوك ألغيت، أو أن الإعصار لم يحدث هناك، لكان جيرد إلى جانبها في تلك اللحظة.

وعندما رأت الكآبة في عينيه، قالت له برقة: «آسفة لأنك لم تستطع العودة من رحلتك في الوقت المناسب».

ـ لم أعلم أنها كانت مريضة. كان عليها أن تخبرني!

ـ ربما لم تدرك خطورة مرضها إلا في ما بعد!

ـ كنت سألح على الأطباء بأن يبذلوا كل ما في وسعهم، لتبقى حية!

ـ أنا واثقة من أنهم بذلوا كل ما في وسعهم ليبقوها حية!

أرادت أن تعزيه، إلا أنها لم تعرف ما تقول. هل يريد أن يتحدث عن ذلك؟ تقدمت نحوه وضغطت على يده تؤاسيه، فقال لها: «لا أعرف شيئاً عن رعاية الأطفال».

ـ ستتعلم ذلك!

وتناهت إلى مسامعهما ضحكات عالية من غرفة التوأمين فقالت: «أظن أنه من الأفضل أن أذهب لأرى ما تفعلانه».

قالت كاسندرا هذا وضغطت على يده لآخر مرة، قبل أن تتركها ببطء. لكنه بقي ممسكاً بها لحظة قبل أن يتركها، وقال: «سأبحث عن تلك الحقائب».

فتح غرفة الملابس ليجد الثياب تملأ المكان. ووجد في الخلف عند

اليسار، حقائب من الجلد الثمين. وحين سحبها، احتك بالملابس، ففاح منها شذا عطر مارلين. لم يستطع أن يصدق أنه لن يراها مجدداً، ولن يناقش معها أموراً تتعلق بالعمل. لم يستطع أن يصدق أنه لن يسمع أحلامها الطموح التي غالباً ما كانا ينفّذانها. لم يستطع أن يصدق أنهما لن يتجادلا في التوسّع، ولا في النفقات التي كان دوماً يطلب معرفتها.

هز رأسه ونبذ تلك الذكريات من ذهنه، ثم توجه إلى غرفة الطفلتين.

كانت كاسندرا تثرثر مع الطفلتين وتضع الثياب على السرير. فسألها جيرد وهو يبحث عن مكان يضع فيه الحقائب: «عماذا تحدثينهما؟».

ـ عن بيتهما الجديد، أظنهما ستشعران براحة أكثر إذا أخبرتهما مسبقاً بالتغيير. ضع الحقائب على الأرض، فما من مكان آخر. خذي يا أشلي، ضعي هذا في الحقيبة.

وناولتها ملاءتين مطويتين. فسارت أشلي إلى الحقيبة وألقتهما فيها.

فتمتم جيرد: «أحسنت يا أشلي!».

فضحكت كاسندرا وقالت: «لا بأس، فهما تريدان أن تساعداني».

قالت هذا وهي تناول بريتاني الشيء نفسه. فسألها وهو ينظر إلى كومة القمصان التي بدأت تعلو في الحقيبة: «ولم لا تفرغين الدرج في الحقيبة وينتهي الأمر، إذا كنت لا تريدين ترتيب المحتويات؟».

ـ عندما تناما، أرتب كل شيء. أما الآن، فهذا العمل يشغلهما، ويشعرهما بأنهما تساعدان وتساهمان في هذا الانتقال.

ـ تحليل نفسي أيضاً؟

ورفع حاجبيه يتأملها.

ـ إنها، في الواقع، طريقة عملية ناجحة. يمكنك أن تساعد في هذا.

ـ لديك من يساعدك. أما أنا، فسأذهب لتفحص أغراض مارلين، لأرى إن كنت أعثر على أوراقها الشخصية وآخذها معي. علي أن أحضر شخصاً ليقفل هذا المكان.

فقالت: «إبحث عن شيء تحتفظ به للطفلتين من أمهما عندما

تكبران. حينها لن تتذكراها، ولكن سيسعدهما اقتناء شيء كان لوالدتهما».

ميّز جيرد في صوتها نبرة كئيبة، فسألها بلطف: «وهل لديك أنت ما يذكرك بوالدتك؟» كان يعلم أنه يتطرق إلى موضوع شخصي، ومع ذلك أراد أن يعلم.

هزت رأسها وقالت: «لا، ولهذا أعرف أنهما ستحبان ذلك. كان لدينا أشياء قليلة للغاية، ولا أدري ما حدث لها. أخذت معي دمية واحدة، هذا كل شيء!».

ـ كم هذا قاسٍ!

تذكر شكوى جده، عندما مات أبواه، من أن عليه اختزان الأثاث والصناديق في مكان ما خلف البيت. قالت له كاسندرا باسمة، وهي تميل رأسها قليلاً: «حدث ذلك منذ وقت طويل!».

ـ سأبحث عن أشياء للفتاتين، يمكنني أن أشحن كل شيء إلى سان فرانسيسكو.

قال هذا وقد خفق قلبه لابتسامتها.

ـ أنت الرئيس هنا، لكنهما قد لا ترغبان في هذا الأثاث، التذكارات تكفي.

خلع جيرد سترته، وعلقها على كتفه، ثم توجه إلى غرفة الجلوس حيث ألقى بالسترة على مسند الأريكة ونظر من حوله. كانت اللوحات الفنية الثمينة تغطي الجدران والتماثيل والآنية المزخرفة تنتشر في كل مكان، أتراها كانت ذات قيمة خاصة بالنسبة إلى مارلين، أم أنها اختارتها لتكمل بها الديكور؟ تعجب لكونه لا يعرف إلا القليل عن المرأة التي تزوجها، على مدى ثلاث سنوات. اجتاز الغرفة، ثم توقف قرب مكتب أثري. كانت الأدراج تحتوي على أوراق مارلين، وقوائم حسابات حديثة، وحسابات مصرفية ودفتر عناوين وأشياء أخرى.

جلس وأخذ يتصفح كل شيء. وعندما وصلت الحاضنة «آني

سيمونز» عند الساعة الواحدة، كان جيرد يشعر باللهفة للهرب من هذه الشقة التي بدت له أشبه بمستشفى مجانين.

كانت الطفلتان تذرعان غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً بينه وبين كاسندرا. ترددتا في البداية في دخول غرفة الجلوس. لكنه أخبرهما أن بإمكانهما أن يأتيا إليه متى شاءتا، وهكذا أخذتا تضحكان وتصرخان وتركضان.

كانت آني سيمونز في أواسط الأربعينات. حيتها الطفلتان بابتسامة سعيدة وعانقتاها، ثم راحتا تتكلمان بسرعة فلم يفهم جيرد شيئاً. ومع ذلك، بدا له أن آني وكاسندرا كانتا تفهمان. أترى النساء يقدرن دون الرجال، على ترجمة ما يقوله الأطفال؟

قالت آني بعد أن استمتعت بما قالته الطفلتان: «من المؤكد أنني سأفتقد هاتين الطفلتين. إنهما طيبتان للغاية! أنا آسفة يا سيد هنتر لخسارتك زوجتك».

أومأ جيرد برأسه، بعد أن شعر مرة أخرى بالارتباك. أراد أن يمرّ بالمقبرة عندما يعود إلى المكتب ليرى مكان ضريحها، ويرى ما إذا كان كل شيء يليق بمارلين.

قالت كاسندرا للمرأة وهي ترمق جيرد باستغراب: «أرجو أن تكتبي لنا لائحة عن التوأمين وعما يحبانه، لأننا سنرحل غداً إلى سان فرانسيسكو».

ـ يسرّني أن أخبركما بكل ما أعرفه. لقد بقيت معهما خمسة أشهر. الأطفال ينمون بسرعة في هذه السن، تفاجأت لرؤيتها أطول قامة هذه المرة، مما كانتا عليه آخر مرة رأيتهما فيها.

قال جيرد متلهفاً للخروج: «كاسندرا، عليّ أن أذهب إلى المكتب! هل يمكنك أن تهتمي بكل شيء هنا، ريثما أعود؟».

ـ بكل تأكيد!

وأغلق جيرد الباب خلفه.

سألتها آني: «هل أنت حاضنة التوأمين الجديدة؟».

ـ لا، فأنا أعمل في شركة هنتر في سان فرانسيسكو. جئت لأساعد جيرد، فحسب، في أخذ الطفلتين إلى بيتهما.

قالت كاسندرا هذا بسرعة، وخشيت أن يظن أحد، حتى آني، أن دورها في الحياة هو أن تكون مربية لهاتين الطفلتين. إنها مجرد مهمة ليومين فقط! وهذا كل شيء.

أخذت تنظر إلى أشلي وهي تركض إلى النافذة لترى أباها وهو يغادر البيت، وراحت تتساءل عما إذا كانت ستتمكن مستقبلاً من المرور على بيت جيرد، من وقت لآخر، لتراهما. لكنها ما لبثت أن سارت إلى غرفة النوم مقطبة الجبين. لم تكن تريد أن تجعل بينها وبين الطفلتين صلة، لقد سبق أن خططت لمستقبلها.

***

عاد جيرد إلى الشقة بعد الخامسة، فوجد كاسندرا جالسة على إحدى الكراسي الأنيقة قرب المدفأة، تحمل كتاباً مفتوحاً، وقد ارتدت جينز وبلوزة قطنية بسيطة. وعندما أغلق الباب رفعت نظرها إليه تسأله: «هل سار كل شيء على ما يرام في المكتب؟» فأومأ برأسه، ثم دخل الغرفة ونظر حوله.

ـ ستستقر الأمور حالاً في المكتب، «بول ويتستون» سيكون مديراً عاماً جيداً.

ثم سألها وهو يجلس على الأريكة: «أين التوأمان؟».

ـ لقد خلدتا للنوم، منذ فترة قصيرة. قالت آني إنهما تنامان قليلاً، بعد ظهر كل يوم. بعد هذا اليوم المتعب، أظنهما ستنامان فترة أطول، مع أنه علينا أن نوقظهما بعد قليل، لتتمكنا من النوم في الليل.

فك جيرد ربطة عنقه، وألقى برأسه على مسند الأريكة. نظرت كاسندرا إليه وهي تفكر بمقدار التعب الذي ما زال يشعر به. لم تكن رحلتهما القصيرة بالطائرة كافية لكي ينام جيداً.

سألته بعطف «هل أنت متعب؟».

ـ أشعر بالحاجة للنوم لأسبوع كامل!

ـ آسفة، لكننا سنرحل في الصباح!

ـ هل أخبرتك آني سيمونز بعض الأمور عن الطفلتين؟

ـ تعلمت منها الكثير، كان عليك أن تبقى هنا. ماذا لو نسيت أن أخبرك بشيء عنهما، أو كان لديك أسئلة نسيت أن ألقيها عليها؟ لقد أخذت رقم هاتفها، لذا يمكنك أن تتصل بها، إذا أردت أن تعرف المزيد، فقد علمت أن أشلي تصاب بنوبة غضب إذا لم تحصل على ما تريد، وبريتاني تركض وتختبيء. لا تحب بريتاني البيض، ولم تكن زوجتك تحب أن تتجوّل الطفلتان في الشقة، خوفاً من أن تتلفا الأشياء. وذلك يوضح ترددهما في دخول غرفة الجلوس.

لاحظ جيرد نبرة السخط في صوتها فأراد أن يبتسم. ربما لا تحب أن يلقي عليها الآخرون بأولادهم، لكنها تقف في صف هؤلاء الأولاد وتناصرهم. يبدو أنها تفضل أن يركض الأطفال في كل مكان في بيتهم. وفي الواقع، كان هذا رأيه هو أيضاً.

ـ أريدك أن تخبريني المزيد عن الطفلتين. ماذا سأفعل عندما سآخذهما إلى البيت؟

واتكأ على الأريكة مصغياً إلى صوتها:

ـ أرجو أن تكون هيلين قد وجدت لك مربية.

فسألها: «أتظنينني لن أنجح في أن أكون أباً عازباً؟». كان الفضول يتملكه ليسمع جوابها.

ـ نظراً لسلوكك معهما هذا النهار، يبدو أنك ستكون أباً ممتازاً، فقد كنت صبوراً تماماً معهما. ستحتاجان إلى كثير من الحب والاهتمام والإرشاد.

ـ سيكون الأمر أسهل لو كان عندي زوجة!

***

٣ ـ أمٌّ أم حاضنة؟

تشابكت عيناه بعينيها، وعلى الفور شعرت بالحرارة تعلو خدّيها، فحوّلت نظرها بعيداً راجية ألاّ يكون قد لاحظ ارتباكها. كيف ستجري الأمور إذا ما تزوجت من جيرد؟ هل سيأتي إليها كل ليلة إلى المنزل ليحدثها عن نهاره؟ هل سيخططان معاً لنزهة الأسرة في عطلة آخر الأسبوع؟ هل سيمرحان معاً، يمضيان أوقاتاً حميمة؟

عليها أن توقف هذا السيل الجارف من الأفكار الذي تملّكها، قبل أن تجعل من نفسها سخرية. نهضت ووضعت الكتاب على الرف، وأملت أن يكون جيرد من التعب بحيث لا ينتبه إليها، فقد كان يفكر بصوت عال، وهذا لا علاقة له بها. ثم قالت ببرودة:

ـ أظن أنك على حقّ. سيكون الأمر أسهل، إذا وجدت زوجة تبقى في البيت طوال النهار وتحضن طفلتيك.

كرهت فكرة أن يختارها كزوجة لمجرد قدرتها على رعاية الأطفال.

ـ المرأة التي ستتزوجني ستكون أماً لأولادي، ولا أظنها ستعتبر نفسها حاضنة لطفلتيّ!

هزت كاسندرا كتفيها ثم تحولت نحو الباب وقالت: «سأتفقد التوأمين، ثم أبدأ بتجهيز العشاء. يبدو أن السيدة هنتر لم تكن تأكل هنا كثيراً، إذ ليس في البيت الكثير من الطعام».

ـ يمكننا أن نطلب شيئاً من المطعم. لست مضطرة للقيام بذلك بنفسك!

قال ذلك ونهض واقفاً، فلاحظت كاسندرا أنه رجل ضخم الجثة وبدا أنه يملأ الغرفة بحضوره.

ـ لا مانع لدي، فأنا أحب الطهي.

وأسرعت بالابتعاد... الابتعاد عن تلك الأفكار التي راودتها، وعن ذلك الحنين الغامض الذي أثارته.

أخذ جيرد ينظر إليها وهي تغادر الغرفة، متسائلاً ما سيكون جوابها فيما لو عرض عليها الزواج. ستكون علاقتها ممتازة بالتوأمين. وسيرتاح تماماً أن يكون مع الطفلتين شخص ضليع بأمور الأطفال وتربيتهم، فيزيح عن كاهله جزءاً من تلك المسؤولية.

ستحاول هيلين أن تجد له مربية خبيرة، لكن المرأة المستخدمة يمكنها أن تترك العمل في أي وقت وتذهب، أما الأم فتبقى!

التفت ببطء إلى الكرسي التي أصبحت الآن شاغرة وتصور نفسه آتياً من العمل إلى البيت كل يوم ليجد كاسندرا محاطةً بالأطفال، وشعرها مسترسل على كتفيها، ونظاراتها على المنضدة، وعيناها الواسعتان تضحكان له، وهي تخبره عن تصرفات الأطفال المضحكة. سينسى عندئذٍ العمل لفترة ويشاركها رعاية أطفاله وهم يكبرون.

هز جيرد رأسه مقطباً جبينه إلى كون تلك الأفكار مجرد تخيّلات، فقد سبق أن أوضحت له كاسندرا باولز أنها امرأة تكرّس نفسها للعمل، ولا تعتبر الزواج من أرمل له أولاد زواجاً تطمح إليه النساء. من جهة أخرى، لم يكن جيرد بعد زواجه من مارلين، يود الزواج بسيدة أعمال مرة أخرى. لقد نجح ذلك الزواج، وبلغا هدفهما الذي تزوجا لأجله، ولكنه يريد أكثر من ذلك في المرة التالية، إذا كانت هناك من مرة تالية.

حمل كيس ملابسه وسار إلى غرفة مارلين. قرر أن يأخذ حماماً سريعاً، ويرتدي بنطلون جينز. وتساءل عما إذا ما كانت أرشلي وبريتاني ستصبحان أكثر نشاطاً بعد الغفوة. كان متشوّقاً لمعرفة ذلك... فهو يريد أن يعرف أكثر عن ابنتيه.

ما إن دخل غرفة النوم، حتى راودته فكرة أجفلته. كان ثمة سرير واحد فقط، بجانب سريري الطفلتين في الشقة كلها. ماذا سيفعلان الليلة؟ وعادت إليه تلك التخيّلات... كاسندرا في فراشه، وشعرها الأسود اللامع منتشر على الوسادة البيضاء، ووجهها يتألق حباً.

حب؟ هذا شيء لا يمكن توقعه من سيدة أعمال مرهقة تستسلم للنوم بعد نضال مرير.

كانت الأريكة التي جلس عليها لا تصلح للنوم، فهي صلبة خشنة التنجيد وكأنها أثاث متحف، كانت تبدو أنيقة لكنها لم تكن مريحة.

يمكنه أن يذهب لقضاء الليلة في فندق، ولكن هل سيدع كاسندرا تعنفه لهجره طفلتيه بعد أول لقاء له بهما؟ هذا غير ممكن!

دخل الغرفة وفتح حقيبته، فأخرج منها بنطلون جينز وقميصاً كحلياً، ثم دخل الحمام.

فكر أن يستأجر لها غرفة في فندق! لكنه سرعان ما نبذ تلك الفكرة فهو يحتاجها هنا في الشقة، خوفاً من أن تستيقظ الطفلتان أثناء الليل. عليه أن يقرر شيئاً أثناء العشاء. أما الآن، فكل ما يستطيع التفكير فيه هو ذلك الحمام الساخن.

عندما انتهى من الاستحمام، سمع ثرثرة الطفلتين، فابتسم وهو يرتدي بنطلونه وقميصه. إنهما حتماً ستغيران جوّ بيته في سان فرانسيسكو... لا بل ستغيران نظام حياته كلها! سيكون عليه أن يبحث عن شقة أوسع، أو ربما بيت مع حديقة. هل ستطلب الطفلتان كلباً؟ وتذكر كلب جده. لو بقي «رانجر» حياً، كيف كان سيتصرف مع الطفلتين؟ وماذا عن جده؟

ـ أتريدين المساعدة؟

ألقى هذا السؤال على كاسندرا وهو يدخل المطبخ، وقد تملكته الرغبة لرؤية الطفلتين... وكاسندرا. فالتفتت الطفلتان وركضتا نحوه، فانحنى ورفع الاثنتين.

ـ مرحباً يا أشلي، مرحباً يا بريتاني! هل نمتما جيداً؟

فابتسمت أشلي وأومأت بقوة، ثم قالت له: «أعطتني «كاسي» جزرة».

ـ وأنا أيضاً.

قالت بريتاني هذا وهي تريه جزرتها. فقال جيرد وهو يقترب من كاسندرا: «ما أجملهما. ربما ستعطيني «كاسي» واحدة».

فابتسمت كاسندرا له بوجه مشرق لم تغطه أي نظارات، ما حبس له أنفاسه. كانت تبدو بغاية الجمال. عيناها ترقصان هزلاً والدم يصبغ وجنتيها وقد انزلق شعرها من ضفيرتها. لو لم يكن يحمل ابنتيه، لتخلل شعرها بأصابعه، وأسدله على كتفيها.

ـ سأعطيك جزراً إذا قمت بتحضير الهمبرغر، لقد نسيت أن الأطفال الجائعين لا يتحلون بالصبر. إذا عملنا معاً، سوف نحضر الطعام بشكل أسرع.

وابتسمت كاسندرا لهم، ثم بهتت ابتسامتها فجأة وهي تراه يرتدي ملابس عادية. لم تره قط بمثل تلك الملابس، فقد كان يرتدي دوماً بذلة العمل. ولسبب ما، جف حلقها. كان يبدو بغاية الروعة، وأصغر سناً وأكثر جاذبية لكنها ذكّرت نفسها بأنه رئيسها فحسب.

سألها رافعاً حاجبه: «همبرغر»؟

ـ عثرت على لحم في الثلاجة، وقليت البطاطا، وسأنهي السلطة الآن. سوف نأكل الهمبورغر من دون خبز، لأنني لم أجد خبزاً هنا.

والتفتت كاسندرا إلى الخس الذي كانت تفرمه، متجاهلة الرغبة التي شعرت بها للنظر ملياً إلى تلك الصورة الجديدة لجيرد هنتر. ولكن لديها عملاً عليها أن تنجزه، ولا وقت لديها للتخيلات.

سأل جيرد طفلتيه: «حسناً، هل تساعداني في تحضير الهمبرغر أيتها الفتاتان؟».

فقالت له كاسندرا، عابسة: «لا».

ألا يعرف هذا الرجل قدرات طفلة في الثانية من عمرها؟

فردد هو: «لا؟».

ـ ليس بجانب فرن حار! يمكنهما، بدلاً من ذلك، أن تعدّا المائدة!

أنزلهما جيرد على الأرض وأخذ يبحث عن درج أدوات المائدة. سرت قشعريرة خوف في جسده للتفكير بالتوأمين وهما تركضان حاملتين شوكة في كل يد فقال: «ما رأيك في أن ألهيهما أنا، بينما تحضرين أنت الهمبرغر؟».

ـ كما تشاء.

فقالت بريتاني وهي تتعلق ببنطال كاسندرا: «هل تلعبين معي يا «كاسي»؟».

ـ أنا مشغولة الآن يا حبيبتي، سيلعب معك البابا!

حملهما جيرد وتوجه بهما إلى غرفتهما، وقد بدأ يعتاد على لقب بابا من كاسندرا. متى ستناديه طفلتاه «بابا»؟

عندما بات العشاء جاهزاً على المائدة، كان التعب قد بلغ مبلغه من جيرد. وشعر بالإشفاق على الآباء في كل مكان. لقد أمضى أقل من ساعة في مراقبة الطفلتين، ومع هذا تعب... لكنه بدأ يشعر بالاهتمام لأمر تينك المخلوقتين الصغيرتين. راح يراقبهما كيف تلعبان، وتتحدثان دون انقطاع، وحاول أن يتعلم لغتهما المضحكة.

تملّكه الغضب للتفكير بمارلين. لماذا حرمته من ابنتيه لمدة سنتين؟ هل كانت ستخبره عنهما لو لم تمت؟

كان العشاء أشبه بمغامرة، فالطفلتان لم تأكلا الكثير، ووقع نصف ما حاولتا تناوله على الأرض أو على المائدة أو على ثيابهما. لكن جيرد لم يحاول أن يصحح تصرفهما، ولا حتى كاسندرا التي قالت وهي ترى حيرته: «إنهما تأكلان ما يكفي لنموهما، أما الباقي فيمكن تنظيفه!».

لقد عاشت مع الأطفال سنوات جعلتها تعلم أنهما ستأكلان ما يكفيهما، ومن غير المعقول تأنيبهما في آخر ليلة تمضيانها في منزلهما.

سيكون الغد مشحوناً بالتغييرات، فلتستمتعا الليلة!

ـ أنا خائف من وقت تناول الطعام في الطائرة غداً.

قال جيرد هذا، فيما كانت بريتاني تلقي بالخس على المائدة باشمئزاز، ربما كانت لا تحب الخس.

فقالت له: «أقترح أن نطعمهما بنفسنا غداً على الطائرة، بدلاً من أن ندعهما تأكلان وحدهما، فتناول الطعام في المنزل شيء، والأكل في مكان عام شيء آخر. نرجو من الله ألاّ يقدم لهما طعام بالمرق».

ـ كم طفلاً رعيت؟

طرح عليها ذاك السؤال بعد أن أعجب بقدرتها على تصوّر الأمور مسبقاً. وتساءل كم من أشياء أخرى تخفي عليه؟

ـ آه، الكثير، وخصوصاً في دار الرعاية مع أبويّ بالتبني. كان في رعايتهما توأمان، ذات مرة، لكنهما كانا أكبر سناً من ابنتيك، وكانتا مشاغبتين للغاية.

وابتسمت وهي تتذكر. لم يبد الأمر لها سيئاً تماماً، ولكن هذا لا يعني أنها تريد أن تعود للعناية بالأطفال، مرة أخرى. إنها تحب مهنتها الحالية، وهي ماهرة فيها.

فقال وهو يتأملها مفكراً: «أنت إذن خبيرة تماماً بالنسبة إلى كل الأعمار!».

ـ نعم.

ونظرت إليه بحذر، وترجّع في ذهنها صدى كلمات قالها لها من قبل. وفكرت أنه إذا طلب منها أن تتزوجه لترعى طفلتيه، فسترشقه بأي غرض يقع تحت يدها...

ابتسم لها جيرد وقال: «أخبريني المزيد عن اتحاد الشركات العالمية. هل قمت بتحليل العوامل المساعدة لذلك؟».

ـ نعم لقد فعلت، رغم أن تحليلي ما زال بحاجة إلى الدراسة. على كل حال، أظن أنه بإمكاننا أن نتبيّن مواطن الضعف والأشراك غير

المتوقعة، ونضع دائرة حولها حالياً. وعندما يتحسن وضع الشركة، سوف نطرح مشروعنا هذا. ولكن في الوقت الحالي، من الخطأ أن نجازف.

ودون أن تتوقف، مدت يدها تمسك بفنجان حليب بريتاني الذي كاد يقع على الأرض.

بقي جيرد وكاسندرا يتحدثان عن العمل طيلة العشاء، مع الالتفات قليلاً للتحدث إلى الطفلتين، واستمتعت كاسندرا بذلك، وبدأت تسترخي. لم تحظ، منذ وقت طويل، بفترة لتناول العشاء. كل ما كانت تفعله هو أكل أي لقمة آخر النهار، في البيت، أو على مكتبها، عندما تتأخر في العمل. كانت تسعى إلى التقدم في عملها في أسرع وقت ممكن، حتى أنها كانت تبقى ساعات بعد الدوام، إلى أن يخرج باقي الموظفين.

لم يعد جيرد إلى ذكر رغبته في العثور على زوجة أخرى، فعنفت كاسندرا نفسها لظنها أنه كان يعنيها هي. ستعود الأمور إلى طبيعتها، في سان فرانسيسكو، فتعود هي إلى حياتها الخاصة ويجد جيرد امرأة تهتم بابنتيه.

ـ لنغسل الأطباق!

فقالت كاسندرا وقد أدهشها أن يعرض عليها جيرد ذلك: «حسناً!».

شعرت بشيء من تأنيب الضمير، فقد وجدت جيرد رجلاً حساساً، وليس مستبداً كما عهدته في مكتبه. ولم تكن تتوقع منه هذا. ساعدتها تلك الرحلة على معرفة مديرها المستبد عن كثب. ولن تنظر إليه بعد ذلك بالنظرة التي كانت تنظر إليه بها في المكتب.

ـ أنت طهوت العشاء، ونحن سننظف كل شيء. بالمناسبة، كان العشاء لذيذاً، شكراً لك!

ـ لا يمكن أن تسمي ذلك العشاء عشاءً ناجحاً. لقد كان مجرد شريحة همبرغر وبطاطا وسلطة.

ـ مع ذلك، كان لذيذ المذاق، وأنا مسرور لعدم اضطراري لطهيه بنفسي.

ـ هكذا إذن.

وابتسمت للفتاتين ثم قالت: «ربما عليّ أن أحمّمهما، لتخلدا للنوم بعد ذلك. قالت آني إنهما تنامان عادة في الثامنة».

ـ هل حزمتما كل أمتعتهما.

ـ الثياب كلها وبعض الألعاب، أما البقية فقد تركناها لترسل بالشحن. وسنكون جاهزين للسفر في الصباح الباكر.

قالت كاسندرا ذلك وراحت تفكر بالمكان الذي ستمضي فيه الليلة. أترى جيرد انتبه إلى وجود سرير واحد فقط في البيت؟ نظرت إليه وهو يحمل الأطباق إلى الحوض. لم تقل شيئاً. كانت لديها فكرة، لكنها ستنتظر إلى أن يتطرق هو إلى هذا الموضوع. في هذه الأثناء، سترتب السرير وتضع عليه ملاءات جديدة، وتملأ حوض الحمام، لتستحم الطفلتان.

ـ سأضع كرسيين قرب الحوض لتقفا عليهما، فيمكنهما المساعدة.

قالت كاسندرا هذا ورفعت كل طفلة توقفها على الكرسي وتنصحها بالحذر، ثم تركته مع طفلتيه. فالأسرة الجديدة بحاجة إلى وقت للترابط. نظرت إلى خلفها وهي تغادر المطبخ فشعرت بأن الأسرة قد بدأت تتماسك.

كانت كلمة «المساعدة» تعبيراً ملطفاً لما كان يحدث. فقد كانت أشلي تعشق اللعب بالصابون، فيما كانت بريتاني تعيد الصحون وبقية أدوات المائدة إلى الحوض، بعد أن يغسلها جيرد. وبهذا الشكل، توقع جيرد أن ينتهي من غسل الأطباق مع حلول الصباح.

لكنه لم يتذمّر، بعد أن رأى الفرحة في أعينهما أثناء «مساعدتهما» له. لم يخبره أحد من قبل عن روعة الأطفال الصغار. وتمنى لو عرفهما منذ ولدتا، ورآهما منذ خطتا خطواتهما الأولى، وسمع كلماتهما الأولى.

ربما كان ذلك ساعده على فهم حديثهما الآن، الذي بدأ يفهم معظمه. لكنهما كانتا أحياناً تتحدثان مع بعضهما البعض بلغة خاصة بهما

ربما. وعندما كان يصغي إليهما جيداً، كان يوشك على الفهم. فجأة تناهى صوت كاسندرا إلى مسمع جيرد، تقول: «هل ستبقون هنا طوال الليل؟».

فالتفتت بريتاني بسرعة وكادت تسقط من على كرسيها: «كاسي... أنا أساعد».

ـ انتبهي كي لا تقعي.

حملها جيرد ووضعها على الأرض، فقالت كاسندرا ضاحكة: «حان وقت الاستحمام».

نظر جيرد إلى ملابس الطفلتين المبتلة، وإلى بنطلونه المبتل هو أيضاً، وقال: «إنها طريقة جديدة لاختصار وقت الاستحمام. كل ما عليك أن تفعليه هو أن تشطفيهما بالماء!».

ـ هذا صحيح. هيا يا بنات، ستلعبان عشر دقائق في الحوض ثم تخلدان إلى النوم.

سألتها أشلي وهي تنزل عن الكرسي، رافضة أن يساعدها أبوها: «ألن تروي لنا حكاية؟».

وقالت بريتاني وهي ترفع ذراعيها ليحملها أبوها: «نعم، ألن تروي لنا حكاية؟».

رفع جيرد بريتاني عن الكرسي وأنزلها على الأرض، فركضت خلف أختها. فكر جيرد أن يدعوها إلى العشاء، حالما يعودون إلى سان فرانسيسكو، كعربون شكر. ربما يأخذها إلى ذلك المكان قرب حوض السفن الذي توجد فيه حلبة للرقص، فيتحدثان أثناء العشاء كما فعلا الليلة، وربما يرقصان قليلاً. فقد كان يشعر برغبة قوية لأن يمسكها بين ذراعيه، فيشعر بأنوثة جسدها أثناء تمايلهما على وقع الأنغام، وينظر إلى البريق في عينيها. من المؤكد أنها لن ترتدي بذلة أثناء الخروج للعشاء، ولا نظارات. أتراها ستسرّح شعرها بشكل آخر، أم ستدعه يفك لها ضفيرتها، بنفسه في المساء؟

بعد أن فارقه تماماً شعور الأبوة، أطفأ النور واتجه إلى الحمام. ومع اقترابه منه، كانت أصوات الضحك الطفولية والعبث بالماء تعلو. وقف عند العتبة وأخذ ينظر إلى التوأمين، وهما تبذلان جهدهما في التهرب من محاولات كاسندرا لغسلهما. أعجبته الطريقة التي كانت تتصرف بها كاسندرا مع ابنتيه. فقد كانت صبورة جداً معهما ومرحة، وكذلك كانت معه هو. ورأى أن عينيه كانتا تستقران عليها أكثر منهما على الطفلتين.

رأته بريتاني، فضحكت. ورفعت أشلي بصرها وضحكت هي أيضاً، وحيّره منظر هذين الوجهين المتماثلين اللذين كانا يبتسمان له، وقالت كاسندرا لهما وهي تنظر إليه من فوق كتفها: «هذا بابا».

فأخذت أشلي تغني وتبعتها بريتاني: «بابا بابا بابا».

فقال جيرد: «جئت للمساعدة، ولكن يبدو أنك تسيطرين تماماً على الوضع!».

فقالت باحتجاج: «إياك أن تجرؤ على تركي وحدي. أحضر منشفة وخذ طفلة، وسأحضر أنا الأخرى، ونضعهما في السرير، لتخلدا للنوم».

استغرق ذلك مدة أطول مما كان جيرد يتوقع، ولكن عندما لبست الطفلتان قميصي نومهما ومشطت لهما كاسي شعرهما، وبدت رائحتهما نظيفة حلوة، هفا قلبه إليهما.

قالت أشلي: «ألن تروي لنا حكاية، يا كاسي؟».

فقالت كاسندرا وهي تمسح الأرض: «اركضي وأحضري كتاباً، يا حلوتي». ونظرت إلى جيرد وهو يجلس على الأرض، إلى جانبها، فضحكت برقة، ثم جلست مثله مستندة إلى الحوض، وقالت: «هل هذا هو الرجل نفسه الذي كان يعمل خلال الإعصار والعواصف من دون أن يدع شيئاً يقلقه؟ تبدو منهكاً للغاية!».

ـ هذا ما أشعر به فعلاً. ما زلت متعباً من رحلة بانكوك.

عضت شفتها السفلى لتمنع نفسها من الابتسام، وقالت له: «ربما هذا من جملة الأسباب. ولكن لكي تصبح أباً، يلزمك كثيراً من القدرة على

الاحتمال».

أراح رأسه إلى الجدار مغمضاً عينيه. كسا الاحمرار وجهها من الجهد الذي بذلته، فبدت دافئة تنضح بالأنوثة. وكانت النظارات ما زالت في المطبخ، وشعرها منسدلاً تماماً على كتفيها. منذ متى أصبح شعرها هاجساً في نفسه؟

قال لها ببطء: «ليس لدينا ما يكفي من الأسرّة».

فرفعت بصرها وأومأت: «لكن لديّ حلاً، السرير في غرفة نوم زوجتك مزدوج»..

حبس جيرد أنفاسه. هل ستقترح عليه أن يتشاركا السرير؟ ألا يهمها أنهما لا يعرفان بعضهما البعض، بما فيه الكفاية؟ إنه سرير كبير مريح لشخصين. هل سيتمكن أخيراً من رؤية ذلك الشعر الداكن اللامع منتشراً على الوسادة، ويرى ذلك الجسد الرائع في قميص نوم هفهاف شفاف؟

لكن تأملاته لم تدم طويلاً إذ قاطعته كاسي قائلة: «لذا فكرت أنه بإمكاننا أن ندفعه نحو الجدار، وننام فيه أنا والفتاتين، على أن أنام أنا من الناحية الخارجية، فلا تقعان منه».

رمش بعينيه وهو ينظر إليها. ستتشارك هي والطفلتان السرير وأين سينام هو؟

ـ ويبقى لي السريران الصغيران؟

فضحكت وهزت رأسها: «حتى ولو ناسبك فأنت ستقع منه على الأرض. لكنني فكرت في أنه يمكنك أن تضع الفراشين معاً على الأرض وتنام عليهما. ليس هذا بالحل الجيد، لكن ما من حل آخر، إلا أن أذهب إلى فندق».

وأدرك أنها لن تقبل أبداً بمشاركته السرير، فقال: «لا، أعتقد أن فكرتك ممتازة!».

ونهض ومد لها يده يساعدها على الوقوف. كانت يدها دافئة في يده، وأصغر مما توقّع. وعندما وقفت شم رائحة جسمها الحلوة الدافئة، ورآها

وكأنها حبست أنفاسها. وببطء، مدّ يده يفك المشبك الذي يثبت شعرها، ثم أمسك بضفيرتها قائلاً: «لقد انحلّ شعرك».

وقبل أن تجيب، فتح المشبك وحل بقية ضفيرتها، وعندما حاولت أن تمسك شعرها اشتبكت يداها بيده.

ـ أنا أعرف أنه مشعث. يمكنني أن أغتسل بسرعة وأسرحه، إذا قرأت أنت لهما القصة.

ـ لا أظنه مشعثاً بل يبدو جميلاً!

تجاهل يديها، وأخذ يمشط شعرها الحريري بأصابعه حتى انتشر على كتفيها، وراح يتألق تحت ضوء المصباح. أمسك بذقنها يديرها إليه ليرى تأثير ذلك على وجهها، فشعر بنبضات قلبها تتسارع. بدت رائعة الجمال، عيناها واسعتان يملأهما التساؤل وهما تحدقان في عينيه، وخداها متوهجان وشعرها سحابة رائعة حول وجهها.

ـ أشكرك لمساعدتي على العناية بابنتيّ.

قال هذا برقة، ثم انحنى وعانقها.

مضت لحظة ظن فيها أنها تجاوبت معه. ثم اندفعت مبتعدة عنه متعثرة تكاد تقع في الحوض، فأمسك بها إلى أن استعادت توازنها فتركها ثم قال: «سأرى أي قصة ترغبان في أن أرويها لهما».

وانتظر ليرى ما إذا كانت ستقول شيئاً، لكنها أومأت فقط وقد بدا عليها التوتر. فذهب يبحث عن الطفلتين. وعندما وصل إلى الردهة، تمتمت وهي تقول لنفسها ساخرة: «هذا عظيم!».

عناق سريع من رئيسها كاد يجعلها تقع في الحوض! وضعت يديها على خديها وأغمضت عينيها... يا لحماقة المرأة أحياناً!

كانت عدم خبرتها تدعو إلى الرثاء، فهي لم يسبق لها أن خرجت مع الكثير من الرجال، لا بل إن الرجال الذين خرجت معهم كانوا لا شيء أمام جيرد. لهذا لم تتوقع عناقاً... خصوصاً من رئيسها. لكنها أخذت تنصح نفسها بألاّ تضخم الموضوع. ونظرت حولها بذهول. كان مجرد عناق

شكر لرعايتها طفلتيه.

توجهت إلى غرفة النوم محاولة عدم التفكير بما جرى. ستستحم وتتهيأ للنوم فيما ينتهي جيرد من سرد الحكاية على الطفلتين.

كان جيرد قد دفع السرير الواسع إلى الجدار، ووضع الفتاتين عليه، ثم استند على كومة من الوسائد لكي يقرأ. وعندما دخلت، نظر الثلاثة إليها، فقالت: «سآخذ فقط أغراضي للاستحمام».

أومأ جيرد، ثم عاد يقرأ، وبعد ثوانٍ، كانت كاسندرا داخل الحمام المقفل. شعرت بأنها حمقاء للغاية. ماذا كانت تتوقع؟ أن يقول لها شيئاً يلطف الأجواء؟ فهي التي انفعلت للغاية!

خلعت ثيابها وهي تفكر في الرجل الجالس في الغرفة بجانبها، ثم وقفت تحت الدوش. ولسبب ما، شعرت بأن الاستحمام وهو على مقربة منها، عمل جريء.

وعندما عادت إلى الغرفة، كان قد أنهى قراءة الكتاب الثاني. فسألها: «هل انتهى كل شيء؟».

كان شعرها رطباً متموجاً على ظهرها. وكانت قد سرحته وتركته منسدلاً ليجف أثناء الليل. وبعد أن لبست قميص نومها، اكتشفت أن القميص لم يكن كافياً لتغطية كل شيء. فلفت حولها منشفة كبيرة، وإذ نظر إليها ذاهلاً، تملكها الارتباك. كانت تلبس قميصاً قطنياً يومياً ملفوفاً بمنشفة، وتضم بنطلونها الجينز وحذاءها إلى صدرها. أتراها تقدم عرضاً؟ أجابت: «نعم، وهل انتهيت من سرد الحكايات؟».

سألته محاولة التصرف بشكل طبيعي.

ـ انتهينا لتوّنا.

ـ حسناً، سأنام الآن مع الفتاتين، فأنا لم أنم جيداً على الطائرة، فغداً سيكون يوماً شاقاً!

نظر جيرد إلى ساعته، فكانت بالكاد تشير إلى الثامنة. لكن البقع الداكنة تحت عينيها كانت تظهر أنها مرهقة.

قبّل جيرد الطفلتين وأزاحهما جانباً، ليترك مكاناً لكاسندرا، ثم نهض وأخذ وسادة، وتوجه نحو الباب. وتنحّت هي جانباً لكي يمرّ.

ـ هل ستوقظني باكراً، أم عليّ أن أبحث عن منبه؟

ـ سأوقظك عند الساعة السادسة، علّنا نحظى بفرصة نرتدي فيها ثيابنا قبل أن يستيقظ الملاكان.

ـ آمل ذلك!

قالت ذلك وابتسمت بخجل، ثم سارت نحو السرير. خرج جيرد فتنفست الصعداء، وأخذت المنشفة وراحت تنشف بها شعرها وهي تثرثر مع الطفلتين برقة.

وانفتح الباب فجأة: «ملاءات! أين أجد ملاءات للفرش؟».

أجفل فجأة وراح يحدق بها. كان القميص الذي ترتديه يصل إلى أعلى ساقيها، مظهراً ساقيها المتناسبتين ومستديرات جسدها. ابتلعت ريقها بصعوبة للنظرة التي بدت في عينيه، وأنزلت المنشفة ببطء حتى تدلت أمامها.

ـ خزانة الجدار في الردهة تحوي البياضات. لقد وجدتها حين كنت أفرش هذا السرير.

لم يحدث أن نظر إليها رجل بمثل هذا الاهتمام الجريء من قبل. أخذ قلبها يخفق.

ـ حسناً، أراك في الصباح.

لقد نامت الطفلتان على الفور، بينما لم تتمكن هي من ذلك رغم تعبها البالغ. راحت تراودها أفكار منعتها من النوم. تذكرت عناق جيرد وردة فعلها الغبية، فرجع صدى كلماته في رأسه حين قال إنه قد يحتاج إلى زوجة. وتذكرت كيف أعربت له عن تصميمها على المضي في مهنتها. وجدت تينك الطفلتين عزيزتين حبيبتين للغاية. ولكن ما الذي جعلها تحبهما إلى هذه الدرجة، بعد يوم واحد من تعرفها إليهما؟

***

ـ كاسندرا؟

أخذ جيرد يهزها بلطف، ففتحت عينيها ثم أغمضتهما. كانت الغرفة معتمة، وضوء الفجر لم يتسرب بعد من خلال الستائر. كانت كاسندرا تنام على جنبها، بينما كانت الطفلتان متعانقتين. وبدا السرير فسيحاً رغم أنهن كن ثلاثة.

ـ هممم...

ابتلع ريقه بصعوبة. كان شعرها الداكن المتموّج منتشراً على الوسادة، فشعر بدافع قويّ لأن يدفن وجهه فيه.

ـ كاسندرا، استيقظي.

فتحت عينيها وحدقت إليه، ثم لاحت على شفتيها ابتسامة رقيقة. فقاوم رغبة جامحة تملكته لمعانقتها. ولكن لا الوقت ولا المكان كانا مناسبين لإطلاق العنان لأشواقه. لديه أسرة يريد أن يأخذها إلى بيته. همست تسأله عن الساعة وهي تنهض مستندة على مرفقها، تنظر إلى الطفلتين، وتتمطى.

ـ إنها السادسة. طلبت أن يرسلوا لي سيارة عند الساعة السابعة والنصف، هل ستكونين جاهزة حينذاك؟

ـ بالتأكيد. هل حضرت القهوة؟

ـ سأحضرها في الحال.

لكنه لم يتحرك من مكانه، بل سمّره مظهرها عند استيقاظها من النوم. أتراها أحد أولئك الذين يريدون قهوة قبل مزاولة أي عمل؟ أم أنها متلهفة لابتداء عمل اليوم؟ كانت بالأمس غريبة الأطوار، فهل ستكون كذلك هذا الصباح؟

قالت وهي تجلس وتفرك عينيها: «سأرتدي ملابسي حالاً».

ـ عندما تنتهين من ذلك، تعالي إلى المطبخ!

ثم استدار بالرغم عنه وغادر الغرفة. ذهب ليحضر القهوة ويرى ما إذا

كان هناك ما بوسعهم أن يأكلوه قبل أن يخرجوا. وكان قد ارتدى ملابس مريحة، وجهز حقيبته وحقائب طفلتيه ووضعها بجانب الباب.

ـ يا لها من رائحة شهية.

هتفت كاسندرا بذلك، وهي تدخل المطبخ بعد دقائق. قررت، وهي ترتدي ملابسها، أن تمرح بتلك الرحلة، قبل أن تأتي نهاية اليوم وتستقر في شقتها، فتصبح الرحلة مجرد ذكرى. وإذا حدث وعانقها جيرد مرة أخرى ليشكرها، فلن تنهار، بل ستكون مستعدة!

ـ هل أنت جاهزة للسفر؟

ـ نعم، لقد وضعت كيسي بجانب حقائبكم. ربما علينا أن نأكل في المطار. ما رأيك؟

كانت تتحدث بسرعة، راجية أن تخفي بذلك، الانجذاب الذي تملكها لدى رؤيته.

ـ هذا إذا استطاعتا الانتظار حتى نذهب إلى المطار. لقد انتهت القهوة على كل حال.

أحضرت فنجانين ملأتهما ثم ناولت واحداً لجيرد، ثم أخذت فنجانها وراحت ترشفه وهي تستند إلى منضدة العمل بعيداً عنه. تنحنحت وسألته: «هل نمت جيداً الليلة الماضية؟».

فهز رأسه: «أبداً. أخذ الفراشان ينزلقان عن بعضهما، كلما تحركت، فوقعت على الأرض عدة مرات».

فرفعت فنجانها إلى فمها تستر به ابتسامتها، وقالت: «آسفة لذلك، وعلى كل حال ستمضي الليلة القادمة في سريرك. ما الذي ستفعله بالنسبة إلى الطفلتين عندما تصل إلى بيتك، هل اشترت هيلين لهما سريرين؟».

فأجفل جيرد: «تباً لذلك، لا أدري. لم أفكر في ذلك قط».

ونظر إلى ساعته، فقالت: «إنس هذا، وإياك أن تتصل بها الآن لأن الساعة الآن هناك الرابعة صباحاً، يمكنك أن تتصل بها من المطار».

ـ أرأيت مدى أهميتك في هذه الرحلة؟ كان وقت النوم سيحين قبل أن

أتذكر شراء سريرين.

ـ أنا مسرورة لتمكني من المساعدة.

ومع أنها كانت مستاءة لإجبارها على القيام بهذه المهمة، إلاّ أنها كانت مسرورة لتمكنها من مساعدته، فقد كان حقاً بحاجة إلى ذلك.

ـ عندما نصل إلى هناك، سوف أدعوك إلى العشاء ذات ليلة.

رفعت بصرها إليه بدهشة قائلة: «حقاً؟ لكن هذا غير ضروري».

ـ لو كان ضرورياً لما رغبت بأن أفعله، أما الآن، فأنا أرغب في ذلك.

ـ لماذا؟

ـ لأشكرك على كل هذا. اعتبري هذا هبة من العمل لقاء مهمة غير عادية.

ـ متى ستدعوني؟

ـ الجمعة؟

ـ وماذا عن الطفلتين؟

ـ لم أفكر في اصطحابهما.

ـ هل وجدت لهما حاضنة؟

لكن جيرد لم يفكر قط في هذا الأمر. ألن تفعل هذا المربية التي استخدمتها هيلين لهما؟ أخبرته هيلين بعد ظهر أمس عندما اتصل بها، بأنها لم تجد مربية تنام في البيت. وقد يستغرق العثور على واحدة، وقتاً. وقد أعطاها فرصة حتى عصر هذا اليوم.

ـ سأعثر على شخص ما!

قال هذا وقد تملكه شعور بعدم كفاءته للتعامل مع ما ينتظره من واجبات، فهو لا يعرف إلا القليل القليل عن الأطفال واحتياجاتهم ولكنه كان في غاية اللهفة لكي يتعلم، وبسرعة!

ـ إذا استطعت أن تجد حاضنة، سأخرج معك.

قالت له كاسندرا هذا ببطء، متسائلة عما إذا كان ذلك عملاً حكيماً. فعندما يصلان إلى مدينتهما، سيعودان، مرة أخرى، موظفة ورئيسها.

راح جيرد يجيل نظراته عليها. بدت صغيرة سعيدة مرتاحة البال، رغم الرحلة الطويلة التي تنتظرها والمهمة التي ستضطلع بها أثناءها. كيف ستبدو ليلة الجمعة عندما سيدعوها إلى العشاء والرقص؟ لم يعد يطيق الانتظار.

تفقد جيرد كل الحقائب ما عدا حقيبة الكتف التي أصرّت كاسندرا على أخذها معها إلى الطائرة. ساعدهم موظف التذاكر في العثور على مقاعد تجمعهم معاً ولكن في الدرجة السياحية بدلاً من الدرجة الأولى، لكن جيرد لم يعترض. كان يفضل أن تكون كاسندرا قريبة منه، على أن ينعم برفاهية الدرجة الأولى.

وعندما أجلست كاسندرا الطفلتين في كرسييهما في غرفة الانتظار في المطار، قالت لها مسافرة:

ـ ما أجمل أسرتك هذه.

فأجابت كاسندرا وهي تنظر إلى جيرد باسمةً: «شكراً لك!».

نظر جيرد إلى عينيها.. ما عساه يكون ردها على طلبه الارتباط بها؟ هل يمكن أن توافق؟ فهي على الأقل، لم تجب بأنها ليست الأم وأن هذه الأسرة ليست أسرتها! بدت طبيعية. هل من طريقة تقنعها بأن تبقى معه، وتصبح أماً لطفلتيه؟

***

٤ ـ وراء كل امرأة عظيمة...

مضت الرحلة بشكل أسهل مما توقعت كاسندرا، لكنها كانت محمومة بالقلق بالنسبة إلى جيرد. فقد شاغبت الفتاتان كثيراً في الطائرة وعبثتا بأزرار مقعديهما. كما لم يعجبهما أن تبقيا في مقاعدهما عندما انتهوا من تناول وجبة الطعام فأخذت كاسندرا تسير بهما في ممشى الطائرة حتى تعبتا.

كما بذل جيرد جهده في تسليتهما عندما استيقظتا، لكنهما ما لبثتا أن أظهرتا ارتياحاً عندما أعلن المذيع أخيراً وصولهم إلى سان فرانسيسكو. وبدت له الرحلة أطول من رحلته من بانكوك.

ابتسمت كاسندرا وهي تربط حزام بريتاني، بينما كان جيرد يحاول ذلك بارتباك مع أشلي. وسألته:

ـ هل أنت مسرور لانتهاء الرحلة؟».

ـ مسرور؟ أنا منهك للغاية!

ـ من الصعب البقاء في مكان واحد لوقت طويل.

قالت كاسندرا هذا وهي تربت على يد بريتاني باسمة. وجدت أنهما أحسنتا التصرف خلال الرحلة. وشعرت بالرباط بينها وبينهما يقوى.

وإذا بها تجفل وتأخذ في النظر من النافذة. لن تدع نفسها ترتبط بابنتي جيرد. وتذكرت كيف كانت تغادر كل مرة دار الرعاية في طفولتها، وتضطر إلى مفارقة أولاد اعتادت عليهم وأحبتهم، وكيف كان قلبها يتألم

للفراق، حتى عندما تركت الدار بمشيئتها لتلتحق بالكلية، افتقدت براندون وشيري وتالي الصغيرة. ولطالما تساءلت ماذا حل بهن. وهل هن سعيدات؟ هل ذهبن للدراسة في الكلية؟ وهل وجدن وظائف جيدة؟ وشعوراً بالانتماء؟.

ابتلعت ريقها بصعوبة ونبذت تلك الأفكار، لقد عرفت بريتاني وأشلي ولكن ليوم واحد. لذا، لا يمكن أن تكون قد اعتادت عليهما، فضلاً عن ذلك، يمكنها أن تسأل جيرد عنهما من وقت لآخر.

قال لها جيرد، وهما يجمعان الحقائب ليغادرا الطائرة: «أقدّر لك عونك هذا لنا، يا كاسندرا. فهذا الأمر صعب للغاية حتى بالنسبة إلى شخص خبير! ولا أظنني كنت سأتمكن من التصرف معهما وحدي، وأبقيهما سعيدتين بهذا الشكل!».

ـ من المؤكد أنك بحاجة إلى امرأة. لكنهما طفلتان طيبتان ولن تزعجاك!

شعرت كاسندرا بالكآبة للتفكير بعدم قدرتها على رؤية الطفلتين مجدداً.

أصبح لدى جيرد أسرة الآن ينتمي إليها وتنتمي إليه، وهذا ما لطالما كانت محرومة منه، لذا ستسعى لأن تنشىء لنفسها أسرة.

ـ من السهل عليك أن تقولي هذا. ستصلين إلى بيتك بعد فترة بسيطة. أما أنا، فلن أعرف كيف أتصرف حتى الصباح!

ورفع أشلي بين ذراعيه، وعلق كيس الحفاظات في كتفه وكأنه أمضى سنوات يفعل ذلك. وسار في ممر الطائرة الخالي تقريباً، ثم انتظر أن تلحق به كاسندرا وبريتاني.

منحته كاسي ابتسامة مشرقة حين رأته يحمل طفلته الصغيرة، ويضمها إلى جثته الكبيرة. وبسرعة، سارت عبر الممر، رافضة التفكير بأي شيء غير العلاقة المهنية التي تجمعهما. حين سيصل جيرد إلى بيته، ستكون مهمتها قد انتهت.

وإذا بها ترى رجلاً يحمل لوحة عليها اسم جيرد، فقالت وهم يقتربون من السائق ذي البذلة الرسمية: «هل هي سيارة ليموزين أخرى؟».

ـ إنها تكلف أقل من ترك السيارة في الموقف هنا، وهي مناسبة جداً!

وأكثر رفاهية أيضاً، كما أخذت كاسندرا تفكر بعد ذلك بدقائق عندما انطلقت بهم السيارة نحو سان فرانسيسكو. كانت الطفلتان محزومتين بأمان في مقعديهما، أما كاسندرا فغاصت في مقعدها اللين في الخلف.

قالت كاسندرا: «بدأت أعتاد على هذه السيارة المترفة».

ـ كما أنها توفر علينا الكثير من الإزعاج في البحث عن موقف عند البيت.

ـ أين تسكن؟

لم تسأله هذا من قبل، فقد كان رئيسها، وما من سبب يجعلها تطرح عليه هذا السؤال.

ـ في «باسيفيك هايتز»، في شقة قديمة وجميلة، ذات سقف عال وأرض خشبية صلبة. عليّ أن أغطيها بالسجاد منعاً للضجيج بعد مجيء الطفلتين، لأن ركضهما في الأنحاء سيبدو كأصوات هرولة قطيع من الماشية.

ـ هل من مكان في الشقة للمربية؟

ـ كلا. لذا سوف أضطر لتحويل مكتبي إلى غرفة للمربية، وأضع الكمبيوتر والملفات في غرفة نومي.

وراحت كاسندرا تتساءل إن كان جيرد سعيداً حقاً في اكتشافه أن لديه ابنتين توأمين؟ وهل سيكون أباً محباً؟ أم أنه سيسلم رعايتهما إلى شخص آخر؟ وهل سيتزوج على الفور فقط ليحضر أماً لفتاتيه؟

تملك كاسندرا، لوهلة، دافع قوي لتلح عليه بأن يولي طفلتيه رعاية خاصة، وأن يتأكد من أن تشعرا بأنهما محبوبتان... ولكن هذا ليس من شأنها!

أخذ جيرد ينظر إلى التعابير التي تتعاقب على وجهها. بماذا كانت تفكر؟ لم يكن يعرفها جيداً. لكن اليومين الماضيين جعلاه يعرفها بشكل أوضح. إنها رقيقة محبة لطفلتين غريبتين، ومع أنها كانت فظة معه في البداية، إلاّ أنها لم تظهر للفتاتين أي ذرّة غضب، وعندما حل وقت العشاء الليلة الماضية، بدت وكأنها استسلمت لهذه المهمة، فكانت بشوشة باسمة.

وتمنى لو ترفع عن عينيها تلك النظارات مرة أخرى، وتسدل شعرها على كتفيها. نظر بعيداً وهو يأخذ نفساً بطيئاً.

غداً سيعودان إلى العمل، ربما عند ذاك، سيراها مجرد محللة تسويق. وتملكته فكرة أغضبته، ماذا لو أنه لم يستطع ذلك؟

عندما وصلت بهم السيارة إلى شقته، كان جيرد قد أصبح متوتر الأعصاب تماماً. هل يمكنه رعاية هاتين الطفلتين وحده؟ اتصل بهيلين فأخبرته بأنها لم تجد بعد حاضنة لهما تنام في المنزل، رغم أنها أحضرت أثاثاً لإقامة الطفلتين. ويبدو أنه ستمضي عدة أيام قبل أن تعثر هيلين على واحدة.

دخلت كاسندرا مع بريتاني إلى الشقة الفسيحة التي كانت في الطابق الأرضي، فتأكدت من أن ما من جيران تحتهم يشتكون من أصوات ركض الطفلتين. كانت الشقة تتألق تحت أشعة شمس العصر. وكانت النوافذ واسعة عالية تكاد تلامس السقف، والستائر خفيفة تسمح للهواء بالدخول. أخذت تنظر إلى أثاث غرفة الجلوس الفسيحة، فبدا لها مريحاً. لم يكن يشبه أثاث شقة مارلين الجميل المتكلف في نيويورك. هذا الأثاث يناسب جيرد، ويلائم الطفلتين كثيراً.

وبدت الأريكة العريضة الوثيرة مغرية، والمقاعد المريحة التي تحيط بها قديمة وكأن كثيرين استمتعوا بالجلوس عليها. وكذلك كانت هناك كتب كثيرة في المكتبة.

أنزلت كاسندرا بريتاني على الأرض ببطء، وكانت الطفلة تضع

إبهامها في فمها. فاستندت إلى ساقي كاسندرا وكأنها تخاف الانفصال عنها.

ـ غرفتكما هناك.

قال جيرد هذا لأشلي وهو يضعها على الأرض، فركضت هذه بينما بقيت بريتاني تنظر إليها. فقالت لها كاسندرا وهي تمد لها يدها: «تعالي يا حلوة. سنذهب لنرى غرفتكما الجديدة».

وأمسكت بيد الطفلة، وقد تملكها الفضول لرؤية المزيد من أقسام البيت.

ـ أظن أن هيلين قامت بعمل جيد في يوم واحد.

ـ كانت هذه غرفة مارلين.

أجفلت كاسندرا لسماعها ذلك، فقد كانت تعلم أن زواجهما كان زواج مصلحة، لكنها لم تكن تعلم أنهما لم يناما في الغرفة نفسها. يبدو أن ذلك حدث بينهما مرة، وإلا لما ولد التوأمان، ولكن هذا ليس من شأنها!

ـ هذا جيّد. يمكنك أن تخبرهما بذلك عندما تكبران.

ـ هذا إذا بقينا هنا، فقد فكرت في شراء بيت أكبر. هناك حديقة عامة في آخر الشارع ولكن لا يوجد فناء خلفي لتلعبا فيه.

ـ البيت الذي نشأت فيه كان يحتوي على فناء واسع، ما جعلنا نستمتع للغاية باللعب فيه. وكنا أحياناً نخيّم خارجاً.

وابتسمت لهذه الذكريات، لم يكن كل شيء في طفولتها، هي أيضاً، سيئاً. فقد كانت لها ذكريات حسنة. والتفكير في أشلي وبريتاني أحيا تلك الذكريات في نفسها.

قالت وهي تستدير: «حسناً، من الأفضل أن أذهب الآن!».

ـ بهذه السرعة؟

فجاهدت لتكتم ضحكة وهي ترى الرعب على وجهه وقالت: «أعتقد أن مهمتي انتهت».

ـ إبقي حتى العشاء على الأقل. سنطلب بيتزا، ثم أرسلك إلى بيتك في سيارة.

ـ لا بأس، ولكن لأجل البيتزا فقط. غداً يوم عمل آخر، هل نسيت؟

ـ إنه يوم الخميس، إذا شئت أن تأخذي بقية الأسبوع إجازة، فلن يمانع الرئيس. أشكرك جداً على مساعدتك لنا.

ـ حسناً، لا شكر على واجب. أتحرّق شوقاً للعودة إلى العمل من جديد.

ـ حقاً؟

قال جيرد هذا بصوت بارد، ورفعت هي بصرها إليه وقد دهشت لهذا التغيّر. لم يقل شيئاً أكثر من ذلك، وسرعان ما نسيت الأمر كله عندما أخذت تخرج ملابس الطفلتين من الحقائب.

عندما وصلت البيتزا، كانت الطفلتان قد اكتشفتا كل شبر في البيت. وبعد العشاء أصبحت الطفلتان جاهزتين للحمام والنوم. بالرغم من نيتها في مغادرة البيت بعد العشاء مباشرة، بقيت لكي تساعد جيرد. كان وقت الاستحمام مصدراً للبهجة عامراً بالضحك واللعب بالماء، وأخيراً، استقرت التوأمان في سريريهما.

وعندما وقفت كاسندرا عند الباب مودعة، وهي تحمل حقيبتها، قال لها جيرد: «أشكرك مرة أخرى، يا كاسندرا».

كان التاكسي قد وصل وعليها أن تسرع، لكنه لم يكن يودّها أن ترحل. قالت كاسندرا وهي تودّعه: «على العموم، أنا مسرورة لمساعدتك! كما أنك لم تتركهما معي سوى لمرة واحدة!».

قالت ذلك مازحة فابتسم. لقد استمتعت حقاً بالبقاء مع طفلتيه، وكانت معهما طيبة جداً.

ـ أراك غداً.

ـ اتصلي بي حين تصلين إلى منزلك!

ـ لماذا؟

فهز كتفيه: «لأتأكد من أنك وصلت بسلام. سأظل قلقاً إلى أن أتأكد من وصولك إلى البيت!».

حدقت كاسندرا به. لقد مضت سنوات منذ كان هناك من يهتم بها. وامتلأ قلبها دفئاً. فابتسمت بخجل وقالت: «حسناً، سأتصل بك حالما أصل إلى البيت. شكراً على العشاء!».

ـ إذا حصلت على حاضنة، سيكون موعدنا مساء الجمعة. أليس كذلك؟

ـ وهو كذلك، تصبح على خير!

أمسك جيرد بها وعانقها بسرعة. وقبل أن تنبس ببنت شفة، قال: «تصبحين على خير».

هل هذا كل ما أعدته لمواجهة أي عناق آخر منه؟ راحت كاسندرا تفكر بذلك ساخرة، وهي تنزل الدرجات ببطء. كان عناقه محيّراً، أما ردة فعلها فهي محيّرة أكثر. لكن ذلك لم يكن يعني شيئاً. كانت تعلم أنه شكرها لمساعدتها له، وهذا كل شيء. مجرد عناق شكر!

حاولت أن تفكر بشكل عقلاني، لكن جزءاً منها ألحّ على أن تطلق العنان لمخيلتها... قريباً سيصبح جيرد مجنوناً بحبها، ويراها فاتنة لا تقاوم، ثم يطلب منها أن تتزوجه وتشاركه حياته. سيكون مجنوناً بها، فيقوم بأي شيء لكي يسعدها. وربما يجعلها شريكته في الشركة، مثل مارلين بالضبط...

وفجأة، انتهت أحلام اليقظة هذه. ما الذي تفكر فيه؟ إذا هو تزوجها كما تزوج مارلين، سيكون ذلك زواج مصلحة. وهي لا تريد أن تتزوج إلا بعد سنوات، بعد أن تكون قد نجحت في مهنتها.

تكهنت بأن جيرد يفكر بالزواج قريباً، فهو سيحتاج إلى عون في تربية طفلتيه، حتى ولو كانت لديهما مربية داخلية، فالمربية لا تكفي لتأسيس أسرة. ولكن كيف لأي امرأة أن تتأكد من أن الزواج منه لن يكون للحصول على أم لابنتيه؟ إن كان الأمر كذلك، فستكره أن يتزوجها لمجرد المصلحة.

فقد خططت مسبقاً لحياتها ولا تتضمن خططها رعاية الأولاد في

المستقبل القريب، بل ستسعى قبل كل شيء إلى التقدم والنجاح في عملها، فهي تعشق التحليل وإسداء التوصيات وحالياً سوف ترعى مشاريعها وكأنها أطفالها، إلى أن تكتمل هذه المشاريع.

عندما وصلت إلى بيتها، طلبت الرقم الذي أعطاها إيّاه جيرد. وعندما أجاب، قالت له: «لقد وصلت بأمان».

ـ حسناً.

ـ هل التوأمان نائمتان؟

ـ نعم، لم أسمع لهما صوتاً. إذا وجدت هيلين أحداً يجلس معهما، سأكون في المكتب غداً. وإذا لم أستطع المجيء، فأرجو أن تتصلي بي لطرح أي سؤال يتعلق بمشروعك!

ـ سأفعل، تصبح على خير!

كانت المكالمة عملية مهنية كما أرادتها كاسندرا.

***

في اليوم التالي، كانت كاسندرا منكبّة على مشروعها، وتراقب مكتب جيرد، في الوقت عينه. أدركت، بعد طول انتظار أنه لن يحضر. أرادت أن تعلم ماذا فعلت هيلين بالنسبة إلى المربية، لكنها خافت أن يبدو سؤالها متطفلاً. نهضت مرتين لتسألها، ثم عادت إلى الجلوس. لو أرادها جيرد أن تعلم بذلك، لطلب من هيلين أن تخبرها. قبل ظهر يوم الجمعة، لم تعد كاسندرا تستطيع الصبر، فسارت نحو مكتب هيلين التي بادرتها بالتحية: «صباح الخير!».

ـ صباح الخير، هل جاء جيرد هذا الصباح؟

ـ لا، أظنه سيعود يوم الاثنين. أتريدين شيئاً؟

ـ أتساءل فقط عما فعله بالنسبة إلى التوأمين.

فضحكت هيلين وقالت: «أظن أنهما أنهكتاه. ولكنه يبدو راضياً جداً. لقد وجدت امرأة يمكنها أن تنتقل إلى بيته أثناء العطلة الأسبوعية،

لتبدأ رعاية الطفلتين يوم الاثنين، وبعد ذلك أظن أن الوضع سينتظم».

ـ آه، يا إلهي!

لم يبق لدى كاسندرا ما تقوله، فابتسمت. وإذ همّت بالسير، رن جرس الهاتف.

ـ نعم إنها هنا! إنه جيرد.

وناولتها هيلين الهاتف:

ـ آلو؟

ـ آلو، كاسندرا؟ إسمعي، أنا آسف بالنسبة إلى موعدنا الليلة، فقد وجدت هيلين امرأة لرعاية الطفلتين تنام في البيت، لكنها لن تكون هنا قبل يوم الأحد، وليس لدي من يرعاهما. هل يمكننا أن نرجىء موعدنا إلى الأسبوع القادم؟

موعد؟ كانت تظنه مجرد عشاء شكر. ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم أومأت برأسها، وشعرت أنها حمقاء، فهو لن يستطيع أن يراها تومىء برأسها. قالت: «بكل تأكيد، هذا عظيم! أتريدني أن أزورك الليلة لأساعدك؟».

من أين جاءها هذا؟ لقد سبق أن أقسمت بألاّ تعود إلى رعاية أطفال الآخرين. ومع ذلك، كانت مشتاقة إلى أشلي وبريتاني، ففكرت أن لا ضرر من القيام بزيارة سريعة لهما.

ـ لا، إننا نتدبر أمرنا. في الحقيقة، الفوضى تعمّ المنزل، وأفضّل ألاّ أشوّه صورتي، ولكن شكراً لعرضك هذا، وآسف بالنسبة إلى خروجنا الليلة، فقد كنت متشوّقاً لذلك!

ـ وأنا أيضاً.

ولم تدرك مقدار ذلك، إلا بعد أن أرجأ هو الموعد.

ـ هلاّ أعطيتني هيلين من فضلك!

أعادت كاسندرا السماعة إلى هيلين، ثم عادت إلى مكتبها. يمكنها أن تعمل اليوم على مشاريعها قدر ما تريد، فهي ليست بحاجة إلى الخروج

باكراً لتستعد لموعد العشاء. ولسبب ما، تلاشت بهجتها هذا النهار، ولم تعد تشعر بالحماس للعمل.

عندما فتحت كاسندرا باب شقتها الخالية، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة. عادت إلى الشقة بعد أن توقفت عند مطعم صيني تناولت فيه العشاء، ثم طافت في أنحاء الحي الصيني وألقت نظرة على واجهات المحلات، وقد تملكها الفراغ.

وصلت إلى المنزل وغيرت ملابسها. وعندما رن جرس الهاتف، تساءلت من عساه يتصل بها في مثل هذا الوقت المتأخر.

ـ آلو؟

ـ كاسندرا. أنا بحاجة إليك.

جاءها صوت جيرد هادئاً مألوفاً للغاية.

ـ لماذا؟

وخفق قلبها واستندت إلى الجدار باسمة. ما أجمل أن تسمع صوته.

ـ بريتاني مريضة، ولا أدري ما أفعل بها.

ـ ما بها؟

ووقفت وقد تملكها القلق على الفور.

ـ لقد تقيأت مرتين، شكت من وجع في بطنها ولم تكف عن البكاء، لقد حاولت كل شيء معها لكن يبدو أنني لم أنجح. هل لديك اقتراح ما؟

ـ سأكون عندك خلال عشر دقائق!

ـ لا، لست مضطرة للمجيء. أخبريني فقط ما علي أن أفعله!

ـ سأكون عندك خلال عشر دقائق.

ووضعت السماعة قبل أن يعود إلى الاحتجاج، ثم اتصلت بسرعة تستدعي تاكسي. وضعت عليها سترتها ثم أسرعت خارجة وقد نفد صبرها. ما الذي يمكن أن يكون قد أصاب الطفلة؟ أتراها التقطت عدوى من المسافرين في الطائرة؟ كان عليها أن تسأل إن كانت حرارتها مرتفعة. هل لدى جيرد ميزان حرارة؟ كانت تعلم أن ليس لديه خبرة في الأطفال.

بعد ذلك بربع ساعة، كانت تطرق باب جيرد وقد نفد صبرها. فتح لها جيرد الباب، وبريتاني الباكية بين ذراعيه. بينما أشلي تحوم حولهما وقد بدا عليها الكدر.

ـ يا طفلتي. هل أنت مريضة؟

ومدت يديها إلى الطفلة التي رمت بنفسها عليها. ضمتها إلى صدرها وأراحت خدها على جبين الطفلة.

ـ حرارتها طبيعية.

ـ أنا مسرور لرؤيتك! لكنني لم أشأ أن أقطع عليك سهرتك.

فقالت بازدراء: «ما من مشكلة، فقد أرجيء موعدي الليلة. هيا يا حبيبتي، أخبري كاسي عمّا يؤلمك!».

ازدادت بريتاني التصاقاً بها. ثم أخذت تبكي بصوت منخفض، فبللت خد كاسندرا بدموعها، وقالت: «بطني تؤلمني».

أخذت كاسندرا تدعك ظهرها، ثم منحت أشلي ابتسامة مشرقة: «مرحباً يا حبيبتي، كيف حالك؟».

ـ جيدة «بتني» حزينة.

ـ نعم، لكنها ستكون بحالٍ جيدة!

ودخلت المطبخ فرأت الفوضى تعمّ المكان. كانت الأطباق والكؤوس تملأ الحوض، والطناجر تغطي الفرن. نظرت إلى جيرد، فقال وهو ينظر إلى كل شيء وكأنما يراه للمرة الأولى: «هذا سيء جداً، أليس كذلك؟ من الصعب القيام بأعمال التنظيف وبين قدميّ طفلتان طوال النهار».

ـ وحين تأخذان القيلولة؟

ـ إنه الوقت الوحيد الذي أقوم فيه بعملي المكتبي. لديّ أعمال عليّ أن أديرها. هل نسيت؟

فقالت تغيظه: «أعذار... أعذار».

وأخذت تفتح خزانة بعد خزانة، فسألها: «عمّ تبحثين؟».

ـ عن حساء الدجاج والمعكرونة، لديك علبة منها، أليس كذلك؟

ـ لا أدري! أنا أضع المعلبات هناك.

وفتح خزانة وأخذ يقرأ أسماء المعلبات. وإذا به يرفع واحدة بدهشة: «لدي واحدة!».

ـ إذاً سخّنها، لنرى ما إذا كان هذا سيجعل الطفلة تتحسن!

لامس جيرد خدّي الطفلة بأصابعه، ثم أزاح شعرها عن وجهها المتوهج، وقال: «ستصبح على ما يرام».

ـ أظن هذا. ماذا أكلت اليوم؟

أفرغ جيرد الحساء في قدر، واتبع الإرشادات المذكورة على العلبة، ثم أشعل الغاز.

ـ الطعام نفسه الذي تأكله منذ يومين، ما عدا غزل البنات.

ـ غزل البنات؟

ـ ذهبنا إلى مدينة الملاهي اليوم وركبنا الدوّامة، واشتريت لهما غزل البنات.

نظرت كاسندرا إلى أشلي:

ـ هل تؤلمك بطنك يا حبيبتي؟

فهزت هذه رأسها نفياً، فسألها جيرد: «أتظنين الحلوى هي السبب؟ أشلي لم تحبها، وقالت إن فيها سكراً كثيراً».

ـ حلوة أكثر مما ينبغي للأطفال. السكر الكثير يسبب لهم الحساسية وألماً في المعدة.

فرك جيرد عينيه وقال: «لا أعرف كيف أكون أباً».

ـ لا تكن سخيفاً، فأنت تقوم بعمل عظيم. كان جميلاً أن تمضي معهما النهار في مدينة الملاهي. ولا بد أنهما أحبتا الدوامة. ولكن، في هذه السن، لا ينبغي أن نطعمهما إلا الطعام الذي تعودنا على تناوله. لقد قلقت تلك الليلة عليهما عندما أكلنا بيتزا. لكنهما لم تأكلا كثيراً منها، لذا لم يؤثر ذلك سلباً عليهما.

ـ أتذكر أنني ذهبت إلى المعرض مرة وأكلت من تلك الحلوى، وكانت جيدة جداً!

ـ ربما كنت أكبر سناً.

قالت هذا وهي تهز بريتاني برفق، فتوقفت هذه عن البكاء.

ـ أظنني كنت في التاسعة من عمري.

ثم ابتسم.

كانت ابتسامة جيرد ساحرة. وإذ تملكتها أحاسيس غريبة وهي تحدّق به، حولت نظراتها عنه بسرعة، خوفاً من أن تفقد السيطرة على نفسها، وبريتاني بين ذراعيها.

ـ بما أنك لم تقم بأي محاولة لتنظيف المكان وترتيبه، قد تلقي المربية الجديدة نظرة واحدة، وتهرب ناجية بحياتها؟

قالت ذلك محاولة السيطرة على مشاعرها، فأجاب: «لقد فكرت في ذلك واتصلت بخدمات التنظيف، فأنا لا أريدها أن تهرب بعد الجهد الذي بذلته هيلين للعثور عليها. من كان يظن أن العثور على مربية لتوأمين صعب بهذا الشكل؟».

ـ أرجو أن تنجح الأمور! ألم يسخن الحساء بعد؟

بعد أن أخذت بريتاني عدة رشفات من الحساء، بدا عليها التحسن. وبقيت أشلي بقرب أختها متلهفة. ولم يبد عليها الاسترخاء إلا بعد أن ضحكت بريتاني لشيء قالته كاسندرا.

وقالت أشلي لأبيها وهي تشدّه من كمه: «أريد ماما!».

فأجفل جيرد وراح يحدق بابنته. وعندما طال الصمت، قالت كاسندرا لها برقة: «أمك ماتت. لقد ذهبت بعيداً، بعيداً، لتعيش في الجنة!».

فقاطعها جيرد بحدة وقد بدا عليه الغضب وقال: «ما كان عليك أن تخبريهما بذلك! لقد سبق أن طرحتا عليّ هذا السؤال، وقلت لهما إنها رحلت بعيداً».

www.elromancia.com

ـ إنهما طفلتان وستلحّان عليك بالأسئلة عن أمهما، وإذا قلت إنها رحلت، فهذا يعني أنها ستعود، فإذا لم تعد، ستشكان بصدقك. إنهما بحاجة إلى معرفة الحقيقة، مهما كانت صعبة. الحقيقة هي أن أمهما ماتت ولن تعود أبداً. ولكن لديهما أبوهما وهو سيرعاهما ويحبهما مثلها. إنهما بحاجة إلى الاطمئنان يا جيرد، امنحهما هذا ولا تكذب عليهما!

ـ يبدو لي هذا بغاية القساوة.

ـ نعم، ولكن هذه هي الحياة! أعلم أن خسارتهما لأمهما، وهما في هذه السن، هو شيء فظيع. لكنهما محظوظتان لأن لهما أباً يحبهما ويحنو عليهما.

فقال وهو يلامس رأس أشلي: «وهكذا لن تذهبا إلى دارٍ للرعاية أو تعيشا مع جد مشاكس حاد الطبع».

ـ لمن حدث ذلك؟

سألته كاسندرا هذا بينما أخذت بريتاني تكافح لتنزل على الأرض، فأوقفتها على قدميها وأخذت تنظر إليها وإلى أختها وهما تركضان إلى غرفتهما بصخب.

فأجابها جيرد: «حدث لي، فقد مات والداي وأنا في العاشرة، فذهبت لأعيش مع جدي. ولم يكن مسروراً بتربيتي، فقد بقي أرملاً لسنوات، وكانت حياته تسير حسب رغبته. وكان يرغب بتمضية بقية حياته بهدوء. لكنه كان كل ما لديّ في الحياة، وهكذا لم يكن لديه خيار في الأمر!».

ـ أنا واثقة من أنه كان يحبك.

فهز كتفيه: «ربما، لكن الحياة معه لم تكن الحياة العائلية الطبيعية التي يستمتع بها الأولاد. أريد أن يكون لابنتيّ أم وأب».

نظرت كاسندرا بعيداً. ستكون سعيدة لأجله إذا وجد امرأة طيبة تتزوجه وتربّي ابنتيه، ولم يكن للانقباض المؤلم الذي شعرت به في قلبها علاقة بأي خيبة أمل أو حنين.

وقالت وهي تغسل طبق الحساء:

ـ إذن كلانا يتيم!

ـ نعم، وهذا ما لا أريده لابنتيّ.

واتكأ على الجدار وهو ينظر إليها تغسل الأواني.

ـ الأفضل أن تهتم بنفسك إذن. يجب أن تعيش إلى أن تصبح عجوزاً، هل ما زال جدك حياً؟

ـ بكل تأكيد، وهو قوي بالرغم من أنه في الثالثة والثمانين.

ـ ماذا قال عن الطفلتين؟

ـ لم يعرف بأمرهما بعد. أفكر في أخذهما إليه أثناء عطلة الأسبوع القادمة. أتصور أن الأمر سيكون مفاجأة كبرى له، كما حدث معي. إنه يعيش في «سونورا». أتحبين المجيء معنا؟

أرادت كاسندرا أن تقول نعم، أن تهز رأسها إيجاباً. ستحب جداً أن تمضي عطلة الأسبوع القادمة معه ومع ابنتيه، لكن الحذر تملكها فقالت: «لا أظن ذلك، ولكن شكراً لدعوتك هذه».

ـ حسناً، لا يمكنني أن ألومك، فمن الطبيعي ألاّ ترغبي بلعب دور «حاضنة» الأطفال في يوم عطلتك.

ـ ليس لهذا السبب، فأنا أحب جداً أن أمضي النهار معك ومع الطفلتين. لكنها ستكون رحلة عائلية وسأبدو دخيلة!

ـ لا، لا يجب أن تفكري بهذه الطريقة! لا تنسي أن الطفلتين تحبانك! هل سبق لك أن قصدت سونورا؟

فهزت رأسها.

ـ ستعشقينها. إنها من مدن مناجم الذهب القديمة، وكولومبيا لا تبعد عنها سوى دقائق. وقد أعيد ترميمها. يمكننا أن نطوف فيها ونتعرف إلى معالمها التاريخية ولا شك أن الطفلتين ستسرّان بذلك!

فضحكت كاسندرا: «صحيح وسأتعلم، مثلهما، كثيراً عن تاريخ كاليفورنيا».

ـ لا أحد يعلم ما يمكن أن تتعلماه. سنتناول الغداء هناك مع جدي، وسأطلب منه أن يرعاهما في المساء، وبذلك يمكننا الذهاب إلى ذلك العشاء معاً، نحن الاثنين فقط!.

ـ هل هذا يعني أننا سنقضي العطلة الأسبوعية هناك؟

قالت هذا ببطء، وهي تشعر بالإغراء أمام الصورة التي رسمها لها جيرد. كانت تعشق التعرف إلى المعالم الأثرية، ولكن ما أعجبها أكثر هو... قضاء وقت مع جيرد.

تناهت إلى مسامعها فجأة أصوات ضحكات طفولية، لكن كاسندرا بقيت مسمرة، تنظر إلى جيرد. شعرت بانجذاب عنيف نحوه، وبأنها قد تفقد السيطرة على نفسها في أي وقت.

ـ هل من مشكلة؟ هل خططت لشيء آخر؟

كان صوته منخفضاً عميقاً، جذبها كما جذبتها النظرة في عينيه. ابتلعت ريقها وحاولت أن تجد سبباً للاعتذار، لكنها لم تفلح. ما من ضرر في قضاء يومين مع أسرة هنتر. ثم أنها ستتمكن من رؤية جزءٍ من ولاية لم تزرها من قبل. من الأفضل أن يزيد المرء دوماً معلوماته التاريخية.

ـ لا، لا أظن أن هناك مشكلة، متى سننطلق؟

عاد يبتسم. ربما عليها أن تنبهه ألاّ يفعل ذلك، إذا كانت تريد المحافظة على رباطة جأشها وعلى توازنها.

ـ سنرحل باكراً، ستستغرق الرحلة حوالي أربع ساعات.

ـ أضف نصف ساعة أخرى على الأقل حساباً لأي توقف.

ـ توقف؟

ـ يبدو أنك لم تسافر قط مع أطفال. عليك أن تتوقف عدة مرات، أثناء رحلة طويلة كهذه!

ـ أنت خبيرة في ذلك، سننطلق إذن عند السابعة والنصف.

فنظرت حولها في المطبخ: «أتريد مساعدة هنا قبل أن أذهب؟».

فدنا منها قائلاً: «لا، سبق وأخبرتك أن المنظفين سيأتون صباحاً،

ويقومون بكل شيء، هل ستذهبين؟ ابقي حتى تنام الطفلتان. ليس لدينا عشاء، ولكن ربما نمضي بعض الوقت معاً، إلا إذا كان لديك خطط أخرى...»

ـ لا، ليس لدي خطط أخرى، ثم إن الساعة تجاوزت التاسعة ويجب أن تكونا في فراشهما.

فكرت كاسندرا في النار التي كانت تتأجج في داخلها. وتنبهت إلى خطورة الوضع، لكنها لم ترغب بالذهاب. أحبت البقاء بقرب جيرد، فبإمكانه أن يعلمها الكثير عن العمل. ربما يمكنهما أن يتبادلا الخبرات، فتدربه هي على الأمور التي تخص الأطفال ويدربها على أوضاع العمل.

كانت الفترة التي سبقت نوم الفتاتين، فترة مرحة، فقد جلسوا جميعاً للاستماع إلى حكاية قبل النوم. وكانت كاسندرا قد قرأت هذه الحكاية مرات كثيرة، بحيث تستطيع تلاوتها عن ظهر قلب.

استمتعت أشلي وبريتاني بسردها للحكاية، واشتبهت في أن يكون جيرد قد استمتع بذلك أيضاً.

وعندما وضعت بريتاني في سريرها، سألتها: «هل تشعرين بتحسن، يا طفلتي؟».

ـ أين ماما؟

ـ ماما في الجنة، وهي مشتاقة إليكما بقدر ما أنتما مشتاقتان إليها. لكن بابا هنا، وسيبقى معكما ويحبكما دائماً.

وقبّلت الطفلة على خدّها، وشمت رائحتها الذكية وتساءلت لماذا رائحة الأطفال حلوة دوماً.

ذهبت لتقبيل أشلي عندما كان جيرد يمنح بريتاني قبلة قبل النوم، ثم تسللت معه إلى غرفة الجلوس.

ـ يفترض أن تناما خلال خمس دقائق، حسب المعتاد.

تمطى جيرد، وأخذ ينظر إلى كاسندرا، ثم قال: «شكراً يا «كاسي» لبقائك معنا».

رفعت حاجبيها لمناداتها كذلك، فسألها: «هل لديك مانع؟».

ـ بتسميتي (كاسي)؟

ـ كما تسميك الطفلتان. إنهما تتحدثان عنك طوال الوقت. وأنا الآن أصبحت أفكر فيك بصفتك (كاسي)، أكثر من كاسندرا.

ـ حسناً!

حولت نظراتها إلى النافذة الواسعة، وقد تملكها الاضطراب. بدا لها الشارع جميلاً بالأضواء التي كانت تشع من النوافذ.

ـ إذا فتحت النافذة ونظرت إلى يمينك، يمكنك أن ترى الخليج.

قال هذا وهو يتقدم ويقف خلفها مباشرة. وعندما مدّ يده يفتح النافذة حصرها بين جسمه القوي وعتبة النافذة. قاومت كاسندرا المشاعر التي اعترتها وأخذت تنظر إلى أصابعه الطويلة وهي تفتح النافذة، ثم أطلت برأسها إلى الخارج فرأت أضواء جسر الخليج المتألقة، وانعكاساتها التي كانت تتراقص على المياه السوداء.

ـ إذن هذه شقة تطل على الخليج!

ـ هذا ما قالوه عندما استأجرنا البيت. هل لديك هذا المنظر في شقتك؟

كان يبعد عنها عدة سنتمترات. وشعرت بحرارته تحيط بها كما كانت تحيط بها ذراعاه، وعندما أحنى رأسه ببطء، جمدت متسمّرة في مكانها، ثم أغمضت عينيها لتستمتع ببهجة عناقه.

أتراها انتظرت طوال حياتها عناقاً كهذا؟ كان يضمها إليه بشدة، فاستسلمت إلى الإحساس الغامر بالبهجة الذي أثاره فيها. فأحاطت كتفيه بذراعيها وراحت تلامس بأناملها شعره الكثيف.

أصبح تنفسها صعباً، لكنها لم تهتم. تسارعت نبضات قلبها بقوة، لكنها لم تشأ أن تتحرك. كانت تشعر وكأنها الجنة على الأرض.

ـ بابا...

تناهى إلى مسمعهما فجأة صوت طفلة تنادي، فقطع عليهما تلك

اللحظات الحميمة. استدار جيرد وأسرع إلى غرفة الطفلتين، بينما أخذت كاسندرا نفساً عميقاً واتكأت على عتبة النافذة. وعندما استعادت رباطة جأشها أخيراً، أغلقت النافذة وأحكمت وضع نظاراتها على عينيها، ثم تساءلت عما إذا كان بإمكانها الخروج.

من الحماقة البقاء، لأن جيرد سيطلب منها اكثر مما بإمكانها أن تعطيه. فقد صرح تقريباً بأنه يريد أماً لابنتيه. أتراه يتظاهر بشيء آخر لكي يغريها على قبول عرضه.

إنه يعلم بأنها مصممة على بناء مستقبل مهني، وحيث أنها أوضحت ذلك بنفسها، فهو سيفهم. وتكهنت بأنه قريباً، سيقوم بعمل حاسم للعثور على زوجة. ولكن، حتى تلك الأثناء، بإمكانهما أن يمضيا بعض الوقت معاً.

ـ أنا آسف. لقد طلبت أشلي أن تشرب.

قال جيرد هذا وهو يعود إلى غرفة الجلوس. لكنه بقي واقفاً عند الباب. فقالت: «حسب التقليد المعتاد، ستنهض في وقت ما، أثناء الليل، وتطلب الذهاب إلى الحمام».

فأومأ باسماً وقال: «كما حدث الليلة الماضية، ولكن لا مانع لدي».

أخذت كاسندرا نفساً عميقاً، وابتعدت عن النافذة لتجلس على الأريكة، رافضة أن تظهر خيبة أملها. لا سبب لديه يدفعه إلى معانقتها مجدداً. رغم أنها عرفت أنه كان يفكر في ذلك، من الطريقة التي راح ينظر فيها إليها!

* * *

٥ ـ لا وقت للأحلام

جلس جيرد على الأريكة بجانبها، تاركاً بينهما مسافة. ثم مدّ ساقيه الطويلتين أمامه، وأراح رأسه على الوسائد خلفه.

ـ أنا متعب. إن الاعتناء بهاتين الطفلتين أمر مرهق حقاً.

تأثرت كاسندرا لمظهر ضعفه هذا، بينما كان يبدو في المكتب بالغ الصلابة، لا يحتمل عدم الكفاءة أو الإهمال في العمل. وأعجبت بطول صبره وجلده فعلى الرغم من الألعاب المتناثرة في كل مكان، وأطباق الطعام القذرة في المطبخ، لم يفقد جيرد أعصابه مع الطفلتين، بل اصطحبهما إلى مدينة الملاهي. وشعرت بالعطف لمحاولات جيرد مواجهة هذه الأبوّة المفاجئة.

فقالت: «لديهما طاقة هائلة. فكر كم هو مثير كل شيء بالنسبة إليهما في هذا العمر، وما أكثر الأشياء التي تكتشفانها!».

ـ وما أكثر المخاطر التي قد تعرضان نفسيهما لها! اعتقدت في مدينة الملاهي اليوم، أنني فقدت بريتاني، وتملكني خوف فظيع للحظات من أن تكون سقطت في الماء أو أن يكون هناك من اختطفها، كما أن أخذ طفلتين إلى الحمام ليس أمراً سهلاً.

ضحكت كاسندرا بهدوء: «جيرد، أنا أحب حقاً ابنتيك ولكن هلاّ أرجأنا الحديث عنهما فترة؟».

فالتفت ينظر إليها، وقال: «أنت ضد الأطفال، كدت أنسى ذلك».

ـ نعم، نوعاً ما.

ـ هذا أمر مؤسف، فأنت تجيدين التعامل معهم.

ـ قد يكون الإنسان كفوءاً في أمور لا يحبها.

فتمتم يقول: «آه، لا تقولي لي إنني أبدو ذاك الوالد الشغوف الذي يضجر الناس بحديثه عن أولاده النوابغ!».

ـ ليس الأمر كذلك، يا جيرد، إنهما رائعتان وأنا أحبهما حقاً، ولكن...

ـ ولكن لديك مهنة ولا وقت لديك للأطفال!

ـ أظن ذلك.

بدا كلامها بغاية البرودة، وقطبت جبينها. لم تكن تعني أنها لا تريد أطفالاً، ولكن ليس الآن! حدقت به، وودّت لو تعرف ما الذي يفكر فيه.

ـ حسناً. اختر موضوعاً.

فقال باسماً بمكر: «أختارك أنت».

ـ أنا؟ ما من أمر هام بشأني. فضلاً عن ذلك، لقد سبق أن عرفت كل شيء عني.

ـ ما أعرفه هو أنك ولدت في لوس أنجلوس والآن تعيشين هنا، ثم ذهبت إلى الكلية. ومما أذكره من مقابلة العمل هو أنه كان لديك قائمة إنجازات تدعو إلى الإعجاب.

تملكها الارتياح إزاء مديحه غير المنتظر، فقالت: «أحب المثلجات والقراءة ومشاهدة التلفزيون. أحب الأثواب الجميلة. لكنني، بصراحة، أفضل بنطلونات الجينز المريحة. هل هذا ما تريد أن تعرفه؟

ـ إنها بداية. ما نوع الكتب التي تحبين قراءتها؟ أنا شخصياً، أحب قراءة الروايات البوليسية.

مر الوقت سريعاً وهما يتنقلان من الكتب التي يحبانها إلى الأفلام التي شاهداها. تحدث جيرد عن الرحلات التي قام بها بحكم العمل، واعترفت هي بشوقها لزيارة البلاد الأجنبية.

عندما نهض جيرد ليتفقد ابنتيه، كادت كاسندرا تذهب معه. وأدركت

أنها تتصرف بحماقة في الابتعاد عن الطفلتين. لكنها كانت تخشى من أن تتملكها مشاعر تحدّ من طموحها المهني. ذلك أن من السهل على المرأة التي لم يكن لها أسرة قط، أن تحن إلى أسرة. أن تنسى للحظة أهدافها الحقيقية، وتخضع لحلم هو أن تصبح جزءاً من أسرة محبة.

عندما عاد سألته: «هل نامتا؟».

ـ إنها مستغرقتان في النوم. شكراً لمساعدتك مع بريتاني. لم أكن أعرف ماذا أفعل.

ـ عليك أن تتعرف إلى طبيب أطفال معيّن. لو كانت مريضة حقاً، لكان عليك أن تأخذها إلى المستشفى وتجعل أي طبيب يفحصها.

ـ تترتب على الأبوّة واجبات أكثر مما كنت أتوقع.

ـ لكنك كفؤ للغاية في ذلك، لا تقلق!

قالت هذا باسمة، فقال: «أحب أن أشعر بأنني أسيطر على الوضع. لكنني شعرت بكل شيء، هذا المساء، ما عدا ذلك. أظن أن النساء أفضل من الرجال في هذه الأمور. لو كان لدي زوجة لعرفت ما عليها أن تفعل».

هبط قلب كاسندرا وقالت: «المرأة لا تأتي بشكل آلي وفي يدها كتيّب إرشادات حول تربية الأطفال. وهناك الكثير من الرجال الذين نجحوا في تربية أطفالهم. كما أن هناك الكثير من نساء الأعمال اللّواتي لا يعرفن شيئاً».

ـ مثل هيلين. لقد اتصلت بها قبلك ولم يكن لديها أي فكرة سوى أن أتصل بك.

وإذ شعرت بشيء من الذلة لكونها الاختيار الثاني، نظرت إلى ساعتها وقالت: «لقد تأخر الوقت. عليّ أن أذهب!»

ـ سأستدعي لك تاكسي. شكراً لبقائك! كنت متلهفاً إلى الحديث مع شخص راشد بعد اقتصاري على الحديث مع الطفلتين ليومين كاملين.

أخذت تتأمله وهو يطلب التاكسي. ثم نهضت فجأة وأخذت تجول في أنحاء الغرفة، محاولةً الهروب من تلك الأفكار التي ساورتها. أتراه

سيعانقها مرة أخرى قبل أن تغادر بيته؟ جعلها مجرد تفكيرها في تلك الإمكانية، تتلهف شوقاً.

ـ سيكون التاكسي هنا بعد دقائق قليلة. لم أدرك كم الساعة متأخرة، لقد مرّ الوقت بسرعة!

ثم سار نحو النافذة ينتظر حضور التاكسي.

ـ لقد سرّني المجيء إلى هنا، وأنا سعيدة لأن بريتاني بخير الآن.

ـ كنت أتمنى لو أستطيع مرافقتك إلى الأسفل أو حتى الذهاب معك إلى البيت.

قال هذا وهو يتكيء إلى الجدار بجانب النافذة حيث يمكنه أن يراها ويراقب الشارع في الوقت نفسه.

ـ سأكون بخير.

ـ اتصلي بي عندما تصلين إلى بيتك.

أومأت إزاء هذه الحرارة غير المتوقعة مرة أخرى.

ـ ها قد جاءت السيارة.

وسار جيرد إليها يضع يديه على كتفيها: «سأراك في المكتب الأسبوع القادم، من ثم سوف نذهب يوم السبت إلى «سورونا». ارتدي بنطلون جينز مريح، ولكن أحضري ثوباً للعشاء».

ـ حسناً.

كانت تتنفس بصعوبة، إذ كان كل نفس يملأ أحاسيسها برائحته الذكية.

حدّق في عينيها للحظة طويلة، فحبست كاسندرا أنفاسها خوفاً من أن يعانقها مجدداً رغم أنها كانت متلهفة إلى ذلك من كل قلبها.

وفي غمرة العواطف التي اعتصرت قلبها، عاملها جيرد بكل برودة قائلاً: «الأفضل أن تذهبي الآن!».

ـ إلى اللقاء.

كادت تركض خارجة من الشقة. أتراه لاحظ مدى رغبتها بمعانقته؟

لو كان هذا صحيحاً، ستموت خجلاً. عندما جلست في التاكسي، نظرت إلى النوافذ المضاءة، فلوح لها بيده.

***

وصلت كاسندرا يوم الاثنين إلى العمل، قبل جيرد بعشر دقائق. وعندما وصل، ماراً بمكتبها، راحت تراقبه بنظراتها وهو يخرج من المصعد، مركزاً نظراته على أوراق في يده. فعادت إلى عملها وقد خاب أملها، فحاولت أن تقنع نفسها بأن هذا ما تريده. إنه مكان عمل، ولا وقت للأمور الشخصية. ولكن لا ضير من ابتسامة سريعة.

عزّت نفسها بالتفكير بالعطلة الأسبوعية التي كانت تتطلع إليها بشوق، حيث تمضي يومين مع الطفلتين وأبيهما الجذاب. جذاب؟ ونظرت إلى الورق أمامها فلم ترَ سوى صورة جيرد، وضحكته وحرارة نظراته...

لم ترَ جيرد بقية ذلك النهار. وإذ كان الفضول يتملكها لمعرفة رأيه في المربية الجديدة، تمنت لو أنه وقف عند مكتبها لكي يخبرها عن تلك المرأة.

ككل ثلاثاء، عقد اجتماع الموظفين مع مدراء المشاريع. واتخذت كاسندرا مقعدها المعتاد على طاولة الاجتماعات بعيداً عن جيرد. التحق هو بالجميع عند الساعة التاسعة، وبدأ على الفور بطلب معلومات عن المشاريع التي فاتته. وعندما جاء دور كاسندرا، تحدثت بإيجاز ووضوح. لم تتحوّل عيناه عن وجهها قط أثناء حديثها، ولكن لم يبد على وجهه أي تعبير يشير إلى أنهما تقابلا مرات عدة خلال ذلك الشهر، أو دعاها لقضاء عطلة الأسبوع معه ومع أسرته بعد أربعة أيام.

كانت تصرفاته نحوها مهذبة عملية، كما كانت مع موظفيه الآخرين. دام الاجتماع مدة طويلة لكون جيرد تغيب عن مكتبه لأكثر من شهر. وعندما انتهى الاجتماع خرجت لتناول غذاء خفيف. كان الهواء بارداً في

الشارع ومنعشاً للغاية. وكانت كاسندرا تعشق التجوال في الشوارع عندما يسمح الجو بذلك. ولطالما فتنتها سان فرانسيسكو. اتجهت إلى شارع (يونيون سكوير) حيث وجدت مقعداً خشبياً، فجلست عليه تحت أشعة الشمس.

كانت قد اجتازت وفريقها في العمل، خطوات واسعة بالنسبة إلى مشروع «اتحاد الشركات العالمية». وكانت في المراحل النهائية من مشروعين آخرين، وبدا لها أنها قد بدأت تبني أسساً ثابتة في مهنتها، وقد تفكر في إقامة شركة خاصة بها أو تشارك شخصاً آخر.

وقفز جيرد إلى ذهنها.

وتركت نفسها تحلم بأن تكون شريكته حتى تصبح شركتهما إحدى أوائل الشركات على ساحل المحيط الهادىء. كانت تحب الأعمال التحليلية، ووضع الخطط، وكم سيزداد عملها إثارة مع ازدياد خبرتها.

لكن أفكارها لم تقتصر على مستقبلها العملي، بل تحولت إلى جيرد نفسه، وإلى الموسيقى التي يحب أن يسمعها وإلى حيرته وضعفه إزاء ابنتيه، ومحاولته توفير الأفضل لهما. وأكثر ما تذكرته هو عناقه الحار.

وقفت كاسندرا فجأة، واستعدت للعودة إلى العمل، فقد ضيّعت وقتاً كافياً في أحلام يقظة حمقاء.

عندما وصلت إلى العمل يوم الخميس، وجدت المكان يموج بالهمهمات. فقد كانوا يتوقعون مجيء زبون رفيع الشأن عند الساعة العاشرة. وإذا ما تم التعامل معه، فسيحقق ذلك للشركة أرباحاً ضخمة، ويرفع اسم شركة هنتر عالياً، ورغم أنه لم يكن لكاسندرا حصة في هذا المشروع، إلا أنها شعرت بالإثارة نفسها التي تملكت الهيئة الإدارية. فتمنت لو ينجح الاحتفال.

وقبل أن تحين الساعة العاشرة بدقائق قليلة، توجهت هيلين إلى مكتب كاسندرا، والقلق بادٍ على وجهها. وقالت لها: «هلاّ تحدثنا على انفراد، يا كاسندرا؟».

ـ بكل تأكيد!

ونهضت كاسندرا وتبعتها إلى مكتب جيرد حيث دخلتا، وأغلقت هيلين الباب خلفهما.

ـ لقد طرأت مشكلة. رحلت المربية التي استخدمتها لجيرد هذا الصباح، دون إنذار مسبق، وحاولت أن أجد واحدة أخرى، لكنني لم أنجح حتى الآن... وسيبدأ الاحتفال بعد أقل من نصف ساعة. على جيرد أن يكون هنا، ولا أدري ماذا أفعل. هل يمكنك أن تذهبي لرعاية الطفلتين؟

ـ أنا؟

ـ أعرف أنها ليست وظيفتك. لكن هذه حالة طارئة! إذا أخبرنا جيرد بأنك قادمة، سوف يرتاح تماماً. التوأمان تعرفانك، وأنت تعرفين كيف تتصرفين معهما. لو لم يكن الأمر ملحاً، لما طلبت منك ذلك. أرجوك!

ـ هل طلب منك جيرد أن تكلميني؟

سألتها كاسندرا ذلك وقد تملّكها الغضب لفكرة أنهم بدأوا يتجاهلون عملها ويركزون أكثر على كونها مجرد مربية.

ـ لا! إنه يعتقد أنني ما زلت أحاول مع مختلف الوكالات. إذا رفضت، ربما سيكون علي أن أذهب بنفسي. أنا لا أعرف شيئاً عن الأطفال. بالإضافة إلى أنه عليّ تجهيز القهوة للمجموعة، وإعداد نسخ عن القرارات إذا احتاجوا لذلك، أو حتى إرسال رسالة بالفاكس. لقد قررت تلك المربية أن تتركهم اليوم. لا أدري لماذا لم تنتظر تلك المرأة حتى نهاية الأسبوع. لم يحدث ذلك إلا هذا اليوم. أرجوك يا كاسندرا قومي بهذه الخدمة لهذا اليوم فقط. وغداً يمكن لجيرد أن يبقى في البيت معهما إلى أن أجد حاضنة أخرى. ولكنه اليوم مضطر لحضور هذا الاجتماع، فهو بالغ الأهمية!

وبدا الكدر البالغ على هيلين.

فقالت كاسندرا وهي تحاول أن تتذكر ما خططت له هذا النهار: «دعيني أفكر قليلاً، كنت أقوم بتحليل بعض المعلومات من هونغ كونغ».

ـ استعملي جهاز كمبيوتر جيرد في بيته. إنه موصول بالجهاز الموجود هنا، وهو يستعمله طوال الوقت. إذا استطعت العمل من هناك، فهذا أفضل. ما رأيك؟

نظرت هيلين إلى الساعة، فكانت حوالى العاشرة إلا ربعاً.

ـ لا بأس، سأحضر أوراقي وأذهب على الفور!

ـ دعيني أخبر جيرد أولاً.

أمسكت الهاتف وطلبت الرقم.

ـ جيرد؟ لم أجد أحداً بعد. لكن كاسندرا قالت إنها ستأتي لترعاهما.. لا بأس، سأخبرها.

أعادت هيلين السماعة وهي تبتسم:

ـ شكراً يا كاسندرا. قال جيرد إنك أنقذت حياته وحياة الشركة وسيكون مديناً لك إلى الأبد. سيحضر الطفلتين إلى هنا، ويمكنك أن تقابليهما عند أسفل المبنى، إذ لا وقت لديه لكي ينتظر حضورك.

ـ جيّد! هذا يمنحني الوقت لأجمع أوراقي.

عادت كاسندرا إلى مكتبها والمشاعر تتنازعها. كانت مسرورة بالمساعدة... لكنها كانت تريد أن تكون من ضمن فريق العمل. فهي لا ترى في دورها كحاضنة أطفال مستقبلاً واعداً. ومع ذلك، كان حسناً أن يشعر صاحب الشركة بأنه مدين لها.

انتظرت في الردهة. وكانت قد جمعت في حقيبتها، كل المواد التي تحتاجها لتحليل سوق هونغ كونغ. لا بأس بالقيام بهذه الخدمة، ما دام بإمكانها استعمال كمبيوتر جيرد في بيته. ولكنها لن تستطيع أن تعمل، إلا بعد أن تأخذ الطفلتين القيلولة. وهكذا ستحظى بساعتين على الأقل، وربما بإمكانها أن تلهيهما برؤية برنامج على التلفزيون.

دخل جيرد مسرعاً من الباب الزجاجي، ممسكاً بطفلة في كل يد، وكان على الصغيرتين أن تركضا لتلحقا به في خطواته الواسعة. بدا مسرعاً

مندفعاً، ورائعاً للغاية، فشعرت بخفقات قلبها تتزايد.

ـ كاسي، أنت رائعة!

ومال عليها يعانقها بخفة، ثم انحنى ينظر إلى طفلتيه: «كونا مطيعتين، ولا تسببا لكاسي المتاعب، مفهوم؟».

فأومأنا، وقالت أشلي: «نعم... بابا».

وقالت بريتاني: «حسناً، بابا».

ثم منحنا كاسندرا ابتسامة مشرقة.

فاستقام جيرد وتركهما لكاسندرا، قائلاً: «لا أدري كم سأتأخر. لقد سبق أن دعوت الزبون إلى العشاء. ولكن سأحاول التخلص من ذاك الموعد!».

ـ لا تقلق بهذا الشأن، يا جيرد. إفعل ما بوسعك للحصول على العقد، فأنا سأستعمل جهاز الكمبيوتر خاصتك، وأعمل في الليل إذا أنت تأخرت. سأقوم بعمل أكبر بعد أن تناما، أرجو لك حظاً سعيداً.

حدقت عيناه في عينيها لحظة طويلة، ثم قال: «شكراً يا كاسي، أنا مدين لك».

طبع قبلة سريعة على جبينها، وسار نحو المصعد. راقبته بكآبة، متمنية لو أنها تعود معه إلى المكتب، وتساهم في الاحتفال.

وسألتها أشلي باسمة: «هل ستلعبين معنا يا كاسي؟».

ـ نعم، سألعب معكما، ولكن علينا أولاً أن نذهب إلى بيتي لأغير ملابسي، ثم نذهب إلى الحديقة العامة. من ثم سوف نتناول الغداء، ونأخذ قيلولة طويلة.

بعد أن نامت الطفلتان، أخذت كاسندرا حقيبة أوراقها وتوجهت إلى غرفة نوم جيرد. رأت السرير المزدوج غير المرتب، وبحثت عن الكمبيوتر في أنحاء الغرفة فوجدته على منضدة صغيرة بجانب الجدار المقابل. كانت رائحة جيرد تفوح في الغرفة، فاستيقظت أحاسيسها على الفور. لكنها ذكرت نفسها بأنه لديها ساعات قليلة فقط للعمل، قبل أن تستيقظ

الفتاتان، ولا وقت لديها لأحلام اليقظة!

***

عندما سمعت كاسندرا المفتاح يدور في القفل، كانت الساعة قد تخطت العاشرة. دخل جيرد غرفة الجلوس ثم ابتسم ببطء. فقالت له وهي تقف:

ـ كيف سارت الأمور؟

كانت قد أنهت عملها منذ ثوانٍ، وسرها أن يجدها في غرفة الجلوس بدلاً من غرفته. كانت نظاراتها على المنضدة وقد أسدلت شعرها.

ـ لقد وقّعنا العقد عند الساعة الرابعة عصراً، ثم ذهبنا للعشاء في مطعم، وقد أوصلتهم إلى فندقهم لتوّي.

ـ تهانيّ، كنت أعلم أنه بإمكانك أن تنجح. سمعت عن الخطة من «بوب فاريل»، وبدت لي منطقية للغاية، يمكن أن تتحقق على أحسن وجه.

وابتسمت بسعادة وكأنه كان مشروعها، فيما خلع سترته وألقى بها على مسند الأريكة، قائلاً: «أرجو ذلك! كيف حال الطفلتين؟».

ـ لقد تصرفتا بشكل جيّد.

فرك جيرد عينيه بأصابعه، ثم نظر إليها وهو يهز رأسه ببطء: «لم تكونا كذلك مع «أنيتا غود»، المربية التي أحضرتها هيلين».

ـ ماذا حدث؟

وتمنت لو تمكنت من أن تربّت على كتفه، لتخفف عنه.

ـ كانت مرافقة لفتاة مراهقة، وعندما انتقلت أسرة تلك الفتاة إلى بلجيكا، لم تشأ أنيتا الذهاب معهم فقدمت استقالتها. لكنني استنتجت من كلامها أن الفتاة كانت مثالاً للكمال، خلافاً للطفلتين اللتين كانتا عنيدتين للغاية وتتدخلان في كل شيء.

ـ ولكن لِمَ رحلت في منتصف الأسبوع؟ ألم تدرك التأثير السلبي لذلك عليك؟

ـ لا أظنها تهتم! حين كانت ترتدي ملابسها هذا الصباح، عبثت الفتاتان بأدوات تجميلها في الحمام، فلطختا نفسيهما بشكل بالغ، وأفرغتا كل زجاجاتها عليهما، وقد مزجتا البودرة بمعجون الأسنان ليحدث تأثيراً أفضل.

انفجرت كاسندرا ضاحكة.

ـ أراهن على أنهما وجدتا نفسيهما رائعتي الجمال، بعد ذلك. فهمت الآن ما الذي كانتا تعنيانه حين قالتا لي إنهما كانتا جميلتين هذا الصباح، بالطبع أن هذا لم يعجب أنيتا، أليس كذلك؟

ـ أنا في الواقع مسرور لذهابها، فقد كانت أكبر سناً من أن تلائمهما، كما أظن. كانت تريدهما أن تبقيا هادئتين طوال الوقت، ولكنني لم أرهما كذلك قط.

ـ إلا عندما تقرأ لهما الحكاية!

قالت كاسندرا هذا فيما بقيت الابتسامة تضيء وجهها.

راح جيرد يحدق بها، وقد تحوّل انتباهه من ابنتيه إلى المرأة الجالسة أمامه. كان يراها فاتنة على الدوام، وقد حاول أن يبقي علاقته بها مجرد علاقة عمل. حتى أنه حاول يوم الثلاثاء أن يعاملها كغيرها من الموظفين، لكن رؤيته لشعرها القاتم اللامع منسدلاً حول كتفيها جعل أصابعه تشتاق إلى لمسه. كانت عيناها تتألقان وهي تنظر إليه بعد أن أزالت نظاراتها عنهما، وكان شعورها بالسعادة لنجاح المشروع يماثل شعوره.

تمنى لو كانت في الاجتماع، وحضرت العشاء الاحتفالي. ما أجمل أن يشعر المرء بأن هنالك من يسرّ لنجاحه ويسعد لأجله.

ـ أشكرك لأنك أنقذتني، وجدت هيلين بعد الظهر امرأة شابة، يمكنها أن ترعي الطفلتين خلال النهار، وستتابع البحث عن مربية داخلية، يبدو أن هذا أمر صعب للغاية.

ـ إذاً، فقد حان الوقت لكي تحصل على تلك الزوجة التي لا تنفك عن ذكرها.

أومأ جيرد برأسه وهو ينظر إليها تجمع أغراضها. لم يكن بناء عائلة الدافع خلف زواجه الأول، فهو لم يمض مع زوجته الراحلة إلا الوقت القليل، وعندما كانا يجلسان معاً، كانت أكثر أحاديثهما عن العمل. وشعر فجأة وكأنه يعرف كاساندرا منذ وقت طويل، أكثر مما كان يعرف عن مارلين طوال السنوات التي أمضياها معاً.

ما كانت كاسندرا لتخفي عنه قط حقيقة أبوّته. لكنها شغوف بالعمل، مثل مارلين.

بحث عن رقم هاتف خدمات التاكسي وهو يقول:

ـ عليّ أن أعتاد على طلب هذا الرقم، من دون النظر في الدليل.

رآها تتردد، ثم ترفع رأسها لتنظر إليه باحتراس وتقول: «أنا لا أفكر في جعل هذا عادة».

ـ أرجو ذلك من كل قلبي، فأنت موهوبة في عملك إلى درجة أنه من الخسارة أن تمضي أوقاتك في رعاية الأطفال.

عبس وهو يراها تفرح لسماعها كلماته العفوية هذه. إنها رائعة مع طفلتيه، وهذا ليس بفضل الخبرة التي اكتسبتها أثناء نموّها، وإنما بفضل دفء قلبها الطبيعي واهتمامها المخلص. إنها موهوبة في العمل، كما هي موهوبة في التعامل مع الأطفال.

عندما صعدت كاسندرا في التاكسي، كان جيرد ينظر إليها من النافذة، وكانت هذه المرة الثالثة. أليس هناك قول شائع بأن هذا الرقم يجلب الحظ السعيد؟ كان جيرد يتمنى أن يوصلها إلى بيتها، ويرى شقتها، ويعرف المزيد عنها.

وفيما كان ينتظر اتصالها لتطمئنه على وصولها، تفقد الطفلتين، ثم اتجه إلى غرفة نومه، ولاحظ السرير غير المنظم، ففكر أنه كان عليه أن يرتبه على الأقل، هذا الصباح. ماذا قالت كاسي يا ترى حين رأته؟ ونظر إلى الكمبيوتر، فوجد أن المنضدة كانت مرتبة، فقد نظمت كاسي أوراقه لتمنح نفسها مساحة تضع عليها أوراقها. فك ربطة عنقه ثم سار إلى

الكرسي ولمسها بخفة محاولاً أن يتصورها جالسة عليها تعمل. يمكنه أن يتخيل ملامحها الجادة أثناء استغراقها في العمل، فقد لاحظ ذلك مرة أو اثنتين، أثناء السنتين اللتين عملت فيهما عنده.

أتراه يشمّ أثراً خفيفاً من عطر الورد؟ وأغمض عينيه وأخذ يتذكر رحلتهما إلى نيويورك. بدت له وكأنها حدثت منذ دهر طويل وليس مجرد أيام.

وعندما جاءته المكالمة، كان قد صعد إلى سريره وانتبه للمرة الأولى كم هو واسع ويوحي بالوحدة.

ـ وصلت إلى بيتي سالمة.

ابتسم. كان يحب صوتها الناعم المرح.

ـ حسناً، هذا جيد! نسيت أن أسألك عما إذا كنت تمكنت من إنجاز أي عمل هذا النهار.

ـ نعم استطعت العمل لمدة ساعتين أثناء قيلولة الطفلتين، ثم أنجزت الباقي بعد أن خلدتا للنوم. في الواقع يمكنني القيام بمزيد من العمل، عندما لا يكون بقربي أحد يقاطعني، لا شيء يماثل الحصول على ذلك العقد على كل حال. لا بد أنك تشعر بالراحة الآن!

ـ علي أن أعترف بأنني مسرور، فقد عملنا طويلاً وبجهد بالغ، وأنا واثق من أن مشاريعنا ستجلب مالاً كثيراً.

ـ الأفضل ان أنهي المكالمة لأنك يجب أن تذهب إلى الفراش.

ـ أنا في فراشي الآن!!!

ساد صمت طويل، وتمنى جيرد لو يرى ما ارتسم على ملامحها. وأخيراً قالت: «هل هذا صحيح؟».

ـ الساعة السادسة صباحاً هي ساعة مبكرة، ويبدو أنها الوقت الذي تحب أشلي فيه أن تركض لتقفز على سريري.

ـ وبريتاني خلفها مباشرة، كما أتصور.

ضحك بصوت خافت: «لقد أدهشني ذلك كثيراً في أول صباح، وكان

مزعجاً. فقد اعتدت أن أنام عارياً، وذلك الصباح لم أعرف ما إذا كنت سأتمكن من الخروج من سريري».

سمع ضحكتها الرقيقة، عبر الهاتف، فشدّد قبضته على السماعة، وتمنى لو بقيت الليلة بجانبه لمدة أطول، وخيّل إليه أن كلامه قد صدمها.

وسألته: «ثم ماذا فعلت؟».

ـ تحايلت عليهما لكي تركضا إلى غرفتهما لإحضار كتاب، ثم قفزت من السرير ولبست بنطلوناً بسرعة، وما كدت ادخل الحمام حتى عادتا بسرعة البرق، كما تعرفين!

ـ أعرف، وأنت الآن صرت تلبس البيجاما.

ـ البنطلون فقط، فأنا أشعر بحرارة بالغة في الفراش إذا لبست السترة. وقد افتتنتا بشعر صدري.

ساد بينهما صمت، وابتسم هو مرة أخرى وقال: «كاسي، بماذا تفكرين؟».

فقالت باندفاع: «أفكر في أن هذه محادثة غير ملائمة على الإطلاق مع رئيسي. بإمكاني أن أتصور افتتان الطفلتين، وربما أنا أيضاً كذلك! آه، رباه.. يجب أن أذهب».

وقطعت الاتصال.

ظل جيرد ممسكاً بالسماعة لحظة بعدها. إنها ردة فعل ممتعة، يبدو أنها ليست بالمناعة التي كان يظنها. ووضع السماعة برفق، ثم وضع يديه تحت رأسه وأخذ يحدق في الظلام. كاسي باولز امرأة ممتعة حقاً.

***

آه، لم تقل ذلك، رباه! فليخبرها أحدهم بأنها لم تعترف بأنها تشارك التوأمين افتتانهما بجيرد. وتوهج وجهها، لن تتمكن قط من مواجهته مرة أخرى، سترسل إليه استقالتها غداً بالفاكس، ولن تذهب معه خلال العطلة الأسبوعية، وستمتنع عن الإجابة على مكالماتها الهاتفية إلى الأبد!

يا ليت الأرض تنشق وتبتلعها، ما الذي جعلها تتفوّه بهذه الحماقة؟ لا بد أنه يضحك الآن لسذاجة ما قالته. خاطبت نفسها: «أنت معتوهة من الدرجة الأولى. الرجل رائع، ولكن لا ينبغي أن تتصرفي كالمراهقات! هذا إلى أنه يبحث عن زوجة ترعى ابنتيه، وبما أن تاريخه يشمل زواج مصلحة، ماذا تتوقعين غير ذلك؟».

هذا لا يعني أنها تهتم بالزواج، فلديها مهنة عليها أن تمارسها، وهي تريد لحياتها الاستقرار كما تريد أن تثبت لنفسها وللعالم أن بإمكانها أن تهتم بنفسها، وسيمضي وقت طويل قبل أن تفكر في الزواج!

ربما بإمكانها أن تبقى في عملها في شركة هنتر، لكن ما لم تكن واثقة منه هو ما إذا كان بإمكانها أن تعيش من دون جيرد.

لا بد أن الله استجاب لدعائها، فقد سمعت اثنين من الموظفين يذكران أن جيرد سيغيب مرة أخرى. كانا متعاطفين معه لصعوبة العثور على حاضنة لابنتيه. ورغم أسفها لأنه لم يجد تلك الحاضنة إلا أنها شعرت بالسرور لهذه المهلة، فهي على الأقل، لن تصل إلى مواجهته، وإذا ساعدها الحظ، ستلتقط عدوى الانفلونزا قبل صباح الغد، وسيكون هذا عذراً جيداً لعدم ذهابها في رحلة آخر الأسبوع معه.

لكن يوم السبت كان صاحياً مشمساً، وبالرغم عنها شعرت بنشاط رائع، وكان عليها أن تعترف بما تملكها من إثارة لكونها ستمضي نهاية الأسبوع مع جيرد ولو بصفة حاضنة أطفال. كانت تعلم أنها ستمضي معظم الوقت معه، كما أنهما سيذهبان إلى العشاء وحدهما.

وضعت ثوباً من الدانتيل في حقيبتها، وكان يبدو أكثر أنوثة بكثير من بذلات عملها. وأملت أن يكون صالحاً للذهاب إلى مطعم.

نظرت من النافذة فرأت جيرد وابنتيه، متوجهين نحو بيتها.

بدا جذاباً إلى حد لا يصدق، فشعرت أن بإمكانها أن تنظر إليه طوال اليوم دون أن تشبع. وابتلعت ريقها بصعوبة، وتساءلت عما إذا كانت مجنونة، لكونها قبلت بقضاء نهاية الأسبوع معهم.

وعندما رن الجرس، فتحت الباب وقالت: «مرحباً!».

قالت هذا، خائفة من مواجهة عينيه بعد اعترافها ذاك عبر الهاتف، تلك الليلة، وبدلاً من ذلك ابتسمت للطفلتين.

ـ مرحباً يا كاسي!

وألقت أشلي بنفسها على كاسندرا، وانحنت هذه تحتضن الطفلتين، أشلي أولاً ثم بريتاني. بعد ذلك، ركضت الطفلتان إلى غرفة الجلوس وابتدأتا بالاستكشاف.

فصاح بهما جيرد: «لا تلمسا شيئاً!».

ضحكت كاسندرا وقابلت عينيه، قائلة: «لا شيء أخشى عليه منهما!».

ـ ربما لا، ولكن التربية ضرورية، أليس كذلك؟

ثم أمسك بيدها ووضعها على صدره.

واحمرّ وجه كاسندرا وهو ينحني ليضمها بين ذراعيه.

* * *

٦ ـ اسأل مجرّباً . . .

عندما ابتعد جيرد عنها، بقيت كاسندرا مغمضة العينين، وكادت تموت من الخجل.

ـ كاسي؟

كان وسيماً، ينضح بالرجولة.

ـ ماذا؟

وحاولت أن تخفض رأسها، مبقية عينيها مغمضتين، لكن أصابعه استمرت في رفع ذقنها: «افتحي عينيك».

هزت رأسها رافضة، فسألها: «لم لا؟».

بدا صوته منطقياً.

ـ لأنني إذا أبقيت عيني مغمضتين، فلن يراني أحد.

فضحك جيرد وقال: «لا أريد أن أحطم اعتقادك هذا، لكن بإمكاني أن أراك وألمسك، وأنت مغمضة العينين».

ألقت بجبهتها على كتفه بعد أن أدركت أن ما من سبيل للخروج من ورطة الخجل هذه.

وتأوهت قائلة: «يا ليتني أموت الآن!».

سمعت ضحكته فتملكها الغيظ. أتراها مجرد شخص يسليه؟

ـ أما أنا فأرجو ألاّ تموتي. هيا بنا.. فهذا يوم رائع ولدينا طفلتان مشاغبتان، علينا أن نغريهما لكي تصعدا إلى السيارة. لقد أمضيت ربع ساعة أحاول أن أتدبّر أمر إجلاسهما في مقعديهما، ولكن ما إن أحاول

إدخال واحدة منهما، حتى تصبح الأخرى طليقة في الشارع.

وأخذ ينادي: «أشلي، بريتاني، ماذا تفعلان؟».

ـ لا شيء!

ـ آه، لا!

هتفت كاسندرا بهذا وهي تستدير بسرعة وتهرع إليهما. كانت تعرف أن (لا شيء) من الطفل تعني أنه يفعل شيئاً لا ينبغي له أن يقوم به. ركضت إلى غرفة الجلوس فلم تجدهما، وانتقلت إلى المطبخ ثم وقفت عند الباب. وكان جيرد قد اندفع خلفها وأخذ ينظر من فوق كتفها.

كانت الطفلتان جالستين على أرض المطبخ، والخبز متناثر من كل ناحية. وكانت بريتاني تحاول أن تمسح قطعة خبز بمقدار ضخم من الزبدة، فلطخت المكان بالزبدة.

ـ هذا عمل سيء!

أزاح جيرد كاسندرا جانباً، ودخل المطبخ عابساً بالطفلتين، وانحنى يأخذ الزبدة من أصابع بريتاني.

ـ ألم أقل لكما ألاّ تلمسا شيئاً؟

فأومأت الطفلتان برزانة، وقد بدا عليهما الخوف.

ـ لقد وسختما مطبخ كاسي الجميل، وأتلفتما الطعام. اعتذرا حالاً من كاسي.

انحنى وجه أشلي الصغير بحزن، وقالت: «آسفة، يا كاسي!».

بينما اندفع إبهام بريتاني إلى فمها واغرورقت عيناها بالدموع: «آسفة يا كاسي!».

ـ بابا محق! هذا عمل سيء. أظن أن خمس دقائق تمضيانها بصمت هو العقاب المناسب!

وعادت لترى جيرد يرمي فتات الخبز في القمامة.

نظر إليها مستفهماً، فقالت له: «عليهما أن تجلسا على الكرسيين مدة خمس دقائق من دون كلام».

وتناولت ساعة التوقيت، وضبطتها ثم وضعتها على المائدة بين الطفلتين. وقالت: «تذكرا. لا أريد أن أسمع أي كلمة قبل أن يرن جرس الساعة! وعندما يقول لكما بابا مرة أخرى بألاّ تلمسا شيئاً، عليكما أن تطيعاه!».

أومأت الطفلتان برزانة. واستمرت بريتاني في مص إبهامها.

تبع جيرد كاسندرا إلى خارج المطبخ: «أظنهما آسفتين. أليست الدقائق الخمس بالوقت الطويل؟».

سألها وهو ينظر إلى الطفلتين التعيستين. فهزت رأسها: «قد يبدو هذا وقتاً لا نهاية له بالنسبة إلى طفلتين في الثانية من عمرهما. ولكن عليهما أن تتعلما أن تطيعاك. ما فعلتاه ليس أمراً هاماً، ولكن إذا أمرتهما بألاّ تلعبا في الشارع فلم تطيعاك، يمكن أن تتضررا تماماً أو حتى تُقتلا. عليهما أن تتبعا إرشاداتك!».

ـ أنحني احتراماً لمعرفتك وخبرتك.

ـ أنت مسرور فقط لأن لديك من يساعدك على تربيتهما.

ـ هذا صحيح! إنهما صغيرتان حجماً وسناً.

ـ لكنهما بحاجة إلى إرشاد وحسن تربية، لا تدللهما يا جيرد!

ـ لن أفكر في القيام بهذا. هل أنت جاهزة لنخرج؟

ـ نعم.

ـ أليس من الأفضل ألاّ تربطي شعرك؟ فنحن في إجازة آخر الأسبوع والمفروض أن ننطلق ونمرح.

فلمست ضفيرتها قائلة: «ألا تعجبك؟».

اشتبكت أصابعه بأصابعها وهما يحاولان حل الضفيرة وأجاب: «أحب شعرك منسدلاً على كتفيك، وكذلك تعجبينني من دون نظارات!».

وسكت، ثم رفع نظاراتها عن أنفها...

أرادت أن تتشبث بنظاراتها، لكنه أبعدها عن يدها.

فقالت باحتجاج: «أنا بحاجة إليها».

فرفعها ونظر من خلالها مقطباً جبينه: «درجتها غير قوية».

فأمسكت بها وقالت: «لكنها تجعل المسافات البعيدة أكثر وضوحاً!».

ـ ولكن ليس للمسافات القريبة؟

سألها هذا، وهو يقترب منها، فتراجعت إلى الخلف وهي تهز رأسها، فتعمد التقدم نحوها خطوة أخرى، وكاد يضحك عندما تراجعت مرة أخرى، وظل يتقدم وهي تبتعد حتى اصطدمت بالجدار.

ـ ماذا ستفعل الآن؟

رفعت يدها وكأنها توقفه عند حدّه، وإذا بالجرس في المطبخ يرن. وصاحت أشلي: «بابا!».

فتمتم بقول وهو يربت على ذقن كاسندرا: «أنقذك الجرس».

أخذت كاسندرا نفساً مرتجفاً، وهي تنظر إليه يدخل إلى المطبخ. أخذ قلبها يخفق وكأنها كانت في سباق، ماذا لو أن الجرس لم يرن؟

عندما غادروا الشقة، حمل جيرد كيس ملابسها بينما أمسكت هي بيدي الطفلتين، فكانتا تقفزان بجانبيها، وتتحدثان عن زيارتهما لجدهما. سألها جيرد: «أتراهما تدركان معنى كلمة جد؟».

ـ أنا واثقة من أنهما لا تدركان. وربما تظنان هذا اسمه!

ـ هذه سيارتي!

ووقف أمام سيارة حديثة الطراز. كان لونها الداكن يتلاءم مع داخلها الرمادي الباهت. وفي المقعد الخلفي، رأت مقعدي أطفال...

فتح الباب ومد يديه لبريتاني، بينما دخلت أشلي بنفسها إلى السيارة. وبعد خمس دقائق، انطلقوا.

ـ أخبرني شيئاً عن جدك.

ـ ماذا أخبرك! إنه في الثالثة والثمانين، عجوز صلب، وقد عاش وحده منذ ماتت جدتي عندما كان أبي في المدرسة الثانوية... بيته قديم!.

فقالت بنعومة: «أراهن على أنه سيجن بالتوأمين».

ـ ربما سيدهش.

ـ كما دهشت أنت. ألم تجد بعد السبب الذي جعل زوجتك تخفي عنك أمرهما؟

ـ لا، فهي لم تترك رسالة تعترف فيها بكل شيء، إذا كان هذا ما تعنينه. لكن رأي محاميها هو أنها خافت من أن ألحّ أنا عليها بالبقاء في البيت لتقوم بدور الأم بدلاً من العمل. كانت مارلين مهووسة بدنيا الأعمال. كانت تريد أن تكون ذات شأن كبير في هذا الحقل.

ـ وماذا تريد أنت يا جيرد؟

ـ أريد أن تكون لي شركة ناجحة وأستمتع بتحديات أي عمل جديد. ولكن «شركة هنتر» ناجحة فعلاً، ولا أريد أن تكبر إلى حد أفقد السيطرة عليها.

ـ ماذا تريد أيضاً من الحياة؟

فنظر إليها، ثم عاد ينظر إلى الطريق.

ـ من المضحك أن تلقي سؤالاً كهذا. لكان جوابي مختلفاً لو طرحته عليّ منذ شهر، ولكن بعد موت مارلين المفاجيء هذا، ومعرفتي بأنني أب، لم أعد أعرف ما الذي أريده. لقد تغيرت حياتي بشكل بالغ، فأنا أفكر في شراء منزل واسع للطفلتين وأن أوفر لهما حساباً للجامعة. ماذا تريدين أنت؟

ـ فرصة لإثبات ذاتي، أنا أعشق العمل في «شركة هنتر» وأعمل بشكل جيد، ومشروعي عظيم. وأتوقع أن أحقق نجاحاً كبيراً. وبعد ذلك أريد أن أطلب زيادة في المسؤولية والراتب.

فضحك وقال: «المال هو دوماً الهدف الرئيسي!».

ـ أليس هذا هدف العمل؟

ـ ماذا عن حياتك الخاصة؟ ألا تقيمين أي علاقة جدية مع أحد؟

وأجابت: «لا، ليس لي أي علاقات!».

ـ ليس هناك إذن من يلهيك أثناء صعودك إلى القمة؟

ـ إلى حد ما.

طلبت بريتاني حكاية، وتملك كاسندرا الارتياح لإنهاء حديثهما هذا غير المريح.

وصلوا إلى سونورا بعد الظهر، بعد أن توقفوا مرتين للاستراحة ولإعطاء الطفلتين مجالاً للركض واللعب. شعرت كاسندرا بالراحة والاسترخاء عند وصولهم. لم يحدث لها قط أن جاءت إلى هذا الجزء من الولاية وافتتنت برؤية جبال «سييرا نيڤادا» المغطاة بأشجار الصنوبر والتنّوب السامقة نحو السماء الزرقاء. وكان الجو يعبق بروائح شجر الصنوبر والأرز.

تحوّل جيرد إلى طريق مرصوف بالحصى ليقف أمام منزل قديم بدا حسن الترميم ولا ينقصه سوى تجديد طلائه.

فتح الباب رجل عجوز أطل برأسه ليرى من القادم، ورقّ وجهه حين عرف جيرد الذي حيّاه بقوله: «مرحباً يا جدي!».

ثم عاد ليفتح باب السيارة ويفك حزام بريتاني بينما كانت كاسندرا تفك حزام أشلي من الناحية الأخرى. وتساءل عما سيظنه العجوز بالنسبة إلى ابنتيه. وشعر فجأة برغبة في أن يحبهما جده بقدر ما يحبهما هو.

أخذ بريتاني بين ذراعيه، ثم التقط الكيس الأبيض من على المقعد وتوجه إلى البيت.

ـ كان عليّ أن أتصل بك قبل ذلك.

تبعته كاسندرا وهي تنظر بلهفة إلى العجوز وهو ينظر إلى جيرد، وإلى الطفلتين ثم إليها. ويقول: «هذا بيتك يا فتى، ويمكنك أن تأتي في أي وقت! أرى معك ضيوفاً، أهلاً بك يا سيدتي!».

ـ إنها كاسندرا باولز. وهي موظفة عندي. هذا جدي يا كاسي، سيلاس هنتر. وهاتان الآنستان الصغيرتان هما أشلي وبريتاني هنتر، ابنتاي.

صعق الرجل العجوز، ثم حدق في الطفلتين وقال بفظاظة: «كان الأجدر بك أن تعلمني بأمرهما منذ ولدا!».

ـ أنا نفسي لم أكن أعلم عنهما شيئاً قبل أسبوع، فلندخل وسأشرح لك كل شيء. لقد أحضرنا معنا بعض الهمبرغر للغداء، وأرجو ألاّ تكون قد أكلت.

ـ لم آكل بعد، تفضلي يا آنسة باولز!

ـ كاسندرا، من فضلك.

قالت هذا وهي تضع أشلي على الأرض، فقال جيرد: «أو كاسي كما نسميها جميعاً».

دخلت الطفلتان المنزل المعتم قليلاً، فقال لهما الجد محذراً: «أيتها الصغيرتان، لا تعبثا بشيء!».

نظرتا إليه بعينين متسعتين ولم تتحركا.

ـ همم.. أظن أن لدي المكعبات التي كان أبوكما يلعب بها عندما كان صغيراً، أين وضعتها يا ترى؟

عندما انتهى الغداء، بدا أن الطفلتين قد تآلفتا مع سيلاس هنتر. وكما تنبأت كاسندرا، افتتن الجدّ بالتوأمين.

قال جيرد: «فكرت في أن آخذ كاسي إلى كولومبيا، لم يسبق لها أن أتت إلى بلدان الذهب من قبل، الطفلتان بحاجة إلى قيلولة. هل يمكننا أن نتركهما معك عندما نخرج؟».

ـ لا أعرف شيئاً عن البنات الصغيرات. أما الصبيان، فيمكنني التعامل معهم.

فابتسمت كاسندرا: «إنهما لا تحتاجان الكثير من الانتباه، عندما تناماً. وحتى الآن كنت ممتازاً معهما. أظن أنهما تستمتعان برفقة جدهما!».

ـ لم أحلم قط بأنني سأرى هذا اليوم، خصوصاً بعد زواجك الأحمق ذاك، يا جيرد. ولكن يبدو أنها لم تكن مجرد علاقة أفلاطونية، فقد

أثمرت!

بدا الضيق على جيرد، لكنه هز كتفيه، وبدا أنه معتاد على طريقة كلام جده الفظة. عندما نامت الطفلتان، خرج هو وكاسندرا.

استمتعت كاسندرا بالتنزه في كولومبيا. سحرتها المدينة القديمة فأخذت تقف عند كل إعلان، وتلقي أسئلة لا تُحصى. وبدا أن جيرد كان يملك جواباً لكل سؤال.

فسألته: «كيف تعلم كل هذا؟ أم أنك تخترع الإجابات».

فضحك وشبك أصابعه بأصابعها، وقال: «لا تنسي أنني نشأت هنا! لا يمكن لك أن تعيشي في بلدان الذهب دون أن تستوعبي تاريخها. الهجوم للبحث عن الذهب في كاليفورنيا كان أحد أهم أسباب الهجرة في التاريخ. جاء الرجال من كل أنحاء العالم بأمل العثور على الذهب. كنت أذهب إلى نهر «ستاينز لاوس» وكنت أبحث فيه عن الذهب».

ـ ألم تجد أثراً للذهب على الإطلاق؟

ـ وجدت عدة رقائق ما زلت أحتفظ بها حتى الآن في بيت جدي، لكنها ليست بالثمينة.

ـ هل يمكننا الذهاب للبحث عن الذهب؟

ـ بكل تأكيد! هناك مكان في المدينة تدفعين فيه عدة دولارات ويضمنون لك أن تجدي بعض الذهب.

ـ أفضل أن أذهب إلى النهر.

ـ سنقوم بذلك يوماً ما، ربما ما زال بإمكاننا أن نجد رقائق من الذهب. ماذا ستفعلين إذا وجدت الذهب؟

ـ أنشيء شركة لي، آه، ذلك لا يعني أنني لا أعشق العمل في شركة هنتر. لكنني أحب أن أدير شركتي الخاصة يوماً ما.

فسألها وكأنه مهتم حقاً: «ماذا كنت ستغيرين في الشركة لو أمكنك ذلك؟».

ـ لا أعرف! ربما كنت اقترحت تغييرات كبرى. أعلم أنه علي أن

أتعلم الكثير، لكن لدي أفكاراً، وأريد أن أرى تأثيرها على بعض المشاريع. ستمر سنوات قبل أن أتمكن من أن أدير مؤسسة. ولكن إذا عثرت على منجم ذهب، يمكنني عندئذٍ أن أستأجر ذوي الكفاءة كما تفعل أنت.

ـ وستصبحين منافسة لي إذن؟

وقفت كاسندرا وفكرت في الأمر لحظة ثم قالت: «أظن هذا، ولكن حتى ذلك الوقت، ستكون شركة هنتر قد أصبحت شركة ضخمة للغاية بينما ستكون شركتي صغيرة وفي بدايتها، تتعامل مع الناس البسطاء الذين لا يمكنهم الطموح إلى التعامل معك».

ـ العواطف الرقيقة لا تمنحك الدولارات!

ـ لكن المال ليس مهماً إلى هذا الحد. المهم هو أن يعرف المرء كيف يجيد عمله. أليس كذلك؟

ـ أنا أعمل لأسباب عديدة، والمال هو أحدها. لكن الرضى الذي أحصل عليه أهم عندي من المال!

فقالت تغيظه: «ولكن هل ما زلت تريد منجم الذهب ذاك؟».

ـ نعم، ما زلت أريده!

لم تتناول كاسندرا عشاءها في الخارج ذلك المساء، لأنهما عندما وصلا إلى بيت جده، وجداه يطهي قدراً ضخماً من اللحم مع البصل، وعندما علم بخطتهما للعشاء في الخارج، بدت عليه خيبة الأمل إلى حد جعل كاسندرا تخبر جيرد على الفور أن عليهما أن يتناولا العشاء معه ومع الطفلتين.

ـ لكن خطتي كانت أن آخذك إلى الفندق، لديهم طعام رائع وفرقة موسيقية صغيرة تعزف ألحاناً جميلة.

ـ خذها في وقت آخر، يا فتى، أريد أن أسمع المزيد عنك، وعما تنوي فعله مع هاتين التوأمين. تبدوان كملاكين وهما نائمتان، ولكن عندما تستيقظان، تكونان مشاغبتين، كما كنت أنت في سنهما!

ومرّ العصر بسرعة لم تكد تصدقها، وقد اكتشفت المزيد عن رئيسها... وهو أنه رجل ساحر.

وبعد أن انتهى جيرد من الكلام عن ابنتيه، ضحك الجد لتصرفات التوأمين، ورمق كاسندرا مرتين، وقال أخيراً: «يبدو لي أنه عليك أن تفكر في الزواج مرة أخرى».

تظاهرت كاسندرا بأنها لم تلاحظ ما قاله الجد. فآخر ما تريده هو أن تتملك جيرد فكرة أنها ستكون الزوجة المناسبة. فقد ذكر لها ذلك أكثر من مرة، بعد أن ساعدته.

كان العشاء مرحاً، فقد حاولت الطفلتان أن تستلما دفة الحديث، وقد افتتنتا بالرجل العجوز وشغفتا بالثرثرة معه. وكان هو يومىء ويبتسم ويتظاهر بأنه يفهم كل كلمة. وعندما غُسلت الأطباق، دون مساعدة الطفلتين هذه المرة، جلسوا جميعاً في غرفة الجلوس. اندست بريتاني في حضن جيرد أما أشلي فقد ترددت بين جد أبيها الذي تعرفت إليه حديثاً وبين كاسي. وأخيراً سارت إلى كاسي ورفعت ذراعيها قائلة: «احمليني!».

وابتدأ سيلاس يروي الحكايات عن جيرد الصبي الصغير.

استمتعت كاسندرا بكل قصة، واهتمت بكل لمحة عن ماضي جيرد. كانت حياته مختلفة تماماً عن حياتها، فقد وجد الحب والحماية مع جده، وكان محظوظاً جداً. أمّا هي، فكل ما حصلت عليه هو صندوق من التذكارات من مختلف دور الرعاية التي تنقّلت بينها، ودميتها الوحيدة العزيزة. لا أحد يجلس معها، فيسترجعان معاً ذكريات الماضي.

عندما نامت بريتاني بين ذراعي أبيها، نهض ليضعها في فراشها، قائلاً: «سأعود لأجل الأخرى».

ابتدأت كاسندرا بالنهوض، لكن سيلاس هز رأسه. وعندما غادر جيرد الغرفة، التفت هو إليها: «دعيه يفعل ذلك بنفسه! فأنا أريد فرصة أتحدث فيها معك. وربما هذه هي الفرصة الوحيدة التي سأحصل عليها،

لم أر جيرد قط من قبل مهتماً بامرأة كما يهتم بك الآن، فهو لا يدعك تغيبين عن نظره!».

احمرّ وجه كاسي وقالت: «لا أظن الأمر كذلك، فقد جئت معه لأساعده على العناية بابنتيه فحسب».

ـ الطفلتان هما ما أفكر فيه. إنه بحاجة إلى زوجة، امرأة تساعده على تربية الصغيرتين، ويبدو أنك على دراية بهذا الأمر. هل لديك أولاد؟

ـ في الواقع كنت أرعى الأطفال في حداثتي، وبعد العودة من المدرسة وفي العطل الأسبوعية وفي الليالي.

ـ هممم... هذا واضح، أنت حنون جداً على هاتين الطفلتين، ومما لاحظته اليوم، أنت أحن عليهما من أمهما. يا لحماقة من يقدم على الزواج لإنشاء عمل! جيرد الآن بحاجة إلى امرأة تريه كيف ينشىء أسرة. لم يكن لدينا أسرة طبيعية لأنه لم يكن لدينا امرأة!.

فابتسمت بأدب: «ألا تظن أن على جيرد أن يتزوج لأجل الحب؟ لا لاقتناء زوجة فحسب؟».

ـ لا يعلم أحد إن كان الحب سيأتي أم لا، أحياناً الرفيق الجيد هو أفضل ما يمكن للمرء أن يتوقعه. عرفت ذلك من «إيما». ذلك أن والد جيرد كان يحب زوجته، لكنهما كانا دوماً يتعاركان. أنا لا أؤمن بزواج الحب. المهم هو أن ينجح الزواج!

شعرت كاسندرا بأن أشلي نامت، فزادت من احتضانها وراحت تتنشق رائحتها الذكية. ربما يملك جيرد عذراً لفشل زواجه الأول، لكنه سيسبب الأذى لنفسه ولزوجته لو تزوج مرة أخرى من دون حب. أتراه يعرف حتى ما هو الحب؟ وكيف يعبّر عنه؟ إنه يعرف ذلك طبعاً، فهو محب لابنتيه وشغوف بهما، رغم أنه لم يعلم بوجودهما إلا منذ أسبوعين.

تمنت لحظة لو أنه يعاملها بالعطف نفسه، ويهتم بها كما يهتم بابنتيه. لكنها كانت تدرك حماقة هذه الأفكار الكئيبة.

ـ نامت واحدة، وجاء دور الأخرى الآن!

قال جيرد هذا وهو يتجه نحو كاسندرا ليأخذ أشلي من حضنها. حدّق في عينيها فكادت تذوب في نظراته، لكنها تمالكت نفسها وحولت نظراتها بعيداً لتنصبّا مباشرة على عيني سيلاس هنتر الحكيمتين. نظر بسرعة إلى حفيده ثم أخذ يحدق في الفضاء. لكن كاسندرا عرفت ما الذي كان يفكر به الرجل العجوز. كان يريد أن يتقربا من بعضهما البعض. لا يهم بالنسبة إليه، إن كانا يحبان بعضهما بعضاً، كل ما يريده هو امرأة تساعد حفيده!

***

تردد جيرد عند العتبة. كانت الفتاتان مستغرقتين في نوم عميق، وكان الوقت مبكراً، ما يسمح لهما، هو وكاسندرا، بالذهاب إلى الفندق وتناول بعض الحلوى، وربما يرقصان لفترة. لم يمضيا لحظة بمفردهما منذ التقى بالطفلتين. وكان متشوقاً إلى الخروج معها.

كان يسمع همهمة صوتها وصوت جده ولكنه لم يستطع أن يميز الكلمات. وعرف من تعليقات جده أنه يرى كاسندرا زوجة ممتازة لحفيده. كان جيرد يفكر أحياناً بالشيء نفسه، أتراها تقبل الزواج به؟ إذا هي تزوجته وأصبحت ربة منزل، سيحل هذا مشكلات كثيرة، وهز رأسه. هو يعلم أنها لن توافق أبداً على هذا الأمر! فمهنتها بالغة الأهمية بالنسبة إليها، تماماً مثل مارلين.

عندما دخل غرفة الجلوس، سألته كاسندرا: «هل نامتا؟».

ـ أظنهما ستنامان حتى الصباح.

ونظر إلى جده فقال: «ما زال الوقت باكراً، هلاّ انتبهت لهما، بينما أذهب مع كاسندرا إلى المدينة؟».

ـ بكل تأكيد! يمكنني ذلك إذا كانتا نائمتين.

ـ ما رأيك يا كاسي؟ هل تريدين الذهاب لتتناول الحلوى؟

ـ لا أدري يا جيرد، كنت أفكر في الجلوس مع جدك ومشاركته المزيد من ذكرياته. أفكّر في ابتزازك للسكوت عما سأعلمه عنك.

قالت هذا مازحة، فقال لها جيرد: «سأجعلك تقسمين على الصمت قبل أن نرحل».

أجاب بذلك وهو يجلس على كرسي أمامها، متابعاً كلامه: «ما زال الجو دافئاً، هل تريدين الذهاب في نزهة؟».

فقالت وهي تقفز واقفة: «هذا ما أحبه، سنعود حالاً يا سيلاس، فننفض الغبار عن كل تلك القصص القديمة».

وقفت كاسندرا فجأة خارج الباب، فسألها: «ماذا حدث؟».

ـ الشوارع مظلمة للغاية هنا، بينما الشوارع في المدينة مضاءة، والأنوار تتدفق من المباني. هنا كل شيء أسود.

ـ امنحي عينيك فرصة تعتادان فيها على الظلام، النجوم توفر ضوءاً، وعندما يصبح القمر فوق الأشجار، ستتمكن من الرؤية جيداً، أنا أعرف كل الطرقات هنا. هيا بنا!.

وأمسك بيدها يشبك أصابعها بأصابعه، ثم سارا في وسط طريق البيت المرصوف.

ـ المكان هنا هادىء.

قالت هذا أثناء سيرهما. وعندما وصلا إلى الطريق الريفي، انعطف جيرد يساراً.

سألته: «لا بد أن نشأتك هنا كانت مرحة للغاية. هل كان لديك حصن على الشجرة؟».

ـ طبعاً. كما كنا نسبح في أحد الجداول التي تروي الزرع.

ـ لا عجب في أنك تريد بيتاً ذا فناء لطفلتيك.

ـ وأماً أيضاً.

ووقف جيرد وجذب كاسي إليه، وأراح يديه على كتفيها وهو ينحني عليها ليرى وجهها في الضوء الخافت: «هل لك أن تمنحيهما ذلك، يا كاسي؟ هل تتزوجينني؟».

***

٧ ـ أم للتوأمين . . .

حدقت كاسندرا إليه بذعر، ثم ابتعدت عنه عائدة بخفة من الطريق الذي سلكاه لتوهما. حاولت أن تركض، لكنها ما لبثت أن وقفت وانتابها الغضب بعد أن تعذرت عليها الرؤية على ضوء النجوم.

ـ كاسي، انتظري لحظة . . .

وأمسك بذراعها. ثم اشتدت قبضته وهو يقول: «ناقشي الأمر على الأقل!».

ـ وماذا أناقش؟ لا أريد أن أكون حاضنة أطفال بقية حياتي. لقد بذلت كثيراً من الجهد لكي أحصل على شهادة إدارة أعمال تنقذني من ذلك العمل. وأنا أريد استغلالها.

ـ لم أقل قط إن ليس بإمكانك أن تستغلي شهادتك، أو إنني لا أريدك أن تعملي. لكنك تجيدين التعامل مع الطفلتين وهما تحبانك وأنت تحبينهما، والزواج هو حل ممتاز!

ـ ممتاز لأجلك فقط، فأنا لا أراه ممتازاً من أي ناحية أخرى.

ـ يوماً ما ستريدين الزواج، أليس كذلك؟ هذا ما تفعله أغلب النساء. إننا منسجمان، وقد أمضينا وقتاً رائعاً اليوم. . .

ـ أسكت يا جيرد، فكوننا أمضينا وقتاً مرحاً بعد ظهر هذا اليوم، لا يعني أننا ثنائي ملائم، استمع إلى نفسك. لا يمكنك حتى أن تدّعي أنك تريدني لنفسي. كل ما تريده هو أم لابنتيك. المرأة لا ترغب في الزواج، إلا إذا كانت محبوبة، أو، على الأقل، لأجلها شخصياً. إننا حتى لا نعرف

www.elromancia.com

بعضنا بعضاً.

- أنت تعملين عندي منذ سنتين، وهذا كافٍ لأحكم على تصرفاتك. فضلاً عن ذلك، لقد كنت بغاية اللطافة مع الطفلتين أثناء الأسبوعين الماضيين. لدينا الأساس لزواج متين، ثم أنا لم أكذب عليك قط. أتريدينني أن أركع على ركبتي وأعلن عن حب لا يموت؟

وكشفت لهجته اللاذعة عن مشاعره. فقالت: «لا، لأنك لن تكون صادقاً!».

- أنت على صواب، فأنا لا أؤمن بالحب. على الأقل ليس كما تتحدث عنه الحكايات الخرافية. ولكن بإمكاننا أن ننشىء معاً حياة جيدة. لا تقولي لا، هذه الليلة، يا كاسي. فكري في الأمر!

- لست بحاجة إلى التفكير بالأمر و...

وقبل أن تنهي كلامها ضمّها جيرد إليه. نسي أنه أصبح أباً فجأة، ونسي متطلبات المكتب. الحقيقة الوحيدة الآن هي هذه الفتاة الموجودة بين ذراعيه والنار التي أوقدتها في كيانه.

أبعد رأسه أخيراً وأخذ يحدق في ملامحها الذاهلة. كان جيرد يريدها وينوي أن يحصل عليها، ولكن الإلحاح قد يقتل الصفقة أحياناً، لذا قرر أن يعالج الموضوع بالحيلة والصبر، ويرشوها إذا اقتضى الأمر. لكنه يريدها أماً لابنتيه، وسيجاهد في سبيل ذلك.

قال وهو يتركها: «فلنعد إلى البيت. لا أظنك تريدين أن نتمشى. وسنتحدث أكثر عن هذا الأمر فيما بعد».

حرص على أن يبقى قريباً منها، لكنه لم يلمسها أثناء عودتهما، ولاح لهما الضوء أمام الباب، فأسرعت كاسندرا، وعندما صعدت الدرجات إلى الباب، قالت: «لا أريد أن نتحدث عن هذا الأمر أكثر من ذلك!».

بقيت هادئة أثناء سيرها وقد منعها الذهول، لما حدث، من تنظيم أفكارها، لكنها أرادت أن توضح موقفها قبل أن تذهب للنوم.

- وأنا لن أقبل بأي جواب الليلة. ادخلي، لأنني ما زلت أريد أن

أتمشى.

وانتظر حتى أصبحت عند الباب، فاستدار نحو الطريق.

أخذت تنظر إليه مبتعداً وقلبها يخفق في صدرها بعنف. كان عناقه مدمراً. ولولا أنه كان يمسكها لتهاوت، فقد شعرت عندها بوهن في ركبتيها.

أمضت كاسندرا بعض الوقت في الحديث مع الجد. حدثها عن مدينة سونورا والتغيير الذي رآه في تلك المدينة الصغيرة النائمة أثناء اندفاع الناس للبحث عن الذهب. ولم يمض وقت طويل حتى أخذ يتثاءب، فأدركت كاسندرا أنه متعب، وقالت وهي تقف: «أظن أنه عليّ أن أخلد للنوم». ثم انصرفت إلى غرفتها.

أطفأت النور بعد فترة، ثم استلقت في الظلام. حاولت أن تتجاهل اضطراب حواسها عندما تذكرت عرضه الزواج. لم يذكر الحب أو الإخلاص، بل ذكر فقط، وبكل بساطة، أن ابنتيه بحاجة إلى أم وأنه يريدها لهذا العمل، هل هذه هي نظرته إلى الزوجة؟ كأي موظف عنده؟

أرادت أن تثور للطريقة القاسية التي صاغ بها الأشياء، لكنها لم تستطع الامتناع من أن تتصور نفسها زوجة له، زوجة تراه كل يوم وكل ليلة، تذهب برفقته وبرفقة التوأمين في نزهة. أتراها حمقاء في رفضها عرضه؟ لقد أعجبت به منذ اليوم الذي عرفته. هذا لا يعني أن الإعجاب هو أساس للزواج. منذ ماتت أمها، أخذت تبحث عن الحب. فهل يمكنها القبول بأقل من هذا؟

وماذا يحدث إذا رفضت؟ سيبحث عن امرأة أخرى، طبعاً، فاهتمامه بها مرتبط بالتوأمين.

كيف يمكن أن يعرض علاقة مصلحة مرة أخرى؟ ولكن، من الأقاصيص التي سمعتها الليلة عن طفولته، ما الذي يعرفه جيرد عن الأسرة؟ كان واضحاً أن والديه كانا يتشاجران في كل لحظة من زواجهما. وعندما توفيا، ذهب ليعيش مع جده الفظ، لقد اعترف سيلاس بأن زوجته

أنشأت ابنهما وحدها، ولهذا، عندما اضطر لتربية جيرد، كانت خبرته محدودة للغاية في ذلك المجال.

عليها أن تجد رجلاً يحبها... عليها أن ترفض جيرد. إن مهنتها مهمة جداً لها.. ويوماً ما، ستجد رجلاً يحبها حقاً.

سمعت كاسندرا وقع خطوات هادئة في الردهة، فعرفت على الفور أنها خطوات جيرد. لقد وصل جيرد إلى البيت بالسلامة. وإذ اطمأنت لوصوله، استغرقت في النوم.

استيقظت في الصباح التالي عندما انفتح بابها، وارتمى جسدان صغيران على جانب سريرها. فتحت عينيها ببطء وأخذت تحدق في وجهين متشابهين مشرقين. وقالت باسمة: «مرحباً».

رفعت أشلي ذراعيها: «احمليني يا كاسي!».

فقالت بريتاني: «وأنا أيضاً!».

رفعت كاسي الطفلتين إلى سريرها، واحتضنت كلاً منهما.

وقالت أشلي: «اروي لنا قصة!».

كتمت كاسندرا ابتسامتها. فقد بدت الطفلة متسلطة كأبيها. وشعرت أنها تحب تينك الطفلتين الغاليتين. إنهما متشابهتان للغاية، ومختلفتان في الوقت عينه.

أخذت تروي لهما قصة وتسهب في وصف المناظر، وتستعمل صوتاً خشناً فظاً لتقليد العملاق.

سألها جيرد من عند الباب: «أليس هذا مخيفاً نوعاً ما لطفلتين في الثانية من عمرهما؟».

رفعت كاسندرا بصرها مجفلة. كانت مستغرقة في تسلية الطفلتين إلى درجة أنها لم تسمعه. كان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً قطنياً أزرق، وقد اتكأ على مسكة الباب وأخذ ينظر إليهن.

- إنها مجرد قصة خرافية، والعديد من تلك القصص مخيفة نوعاً ما. ولكن ألم تسمعها عندما كنت صغيراً؟

فأومأ قائلاً: «لكنني كنت صبياً!».

- وهل يشكّل ذلك فرقاً؟

ولوحت له أشلي بيدها: «مرحباً بابا إننا نتدفأ مع كاسي».

- هل من مكان لي؟

احمرّ وجه كاسندرا ونظرت إليه: «لا، ما من مكان لك!».

- إنه سرير صغير، سريري الواسع المزدوج في البيت يتسع لنا جميعاً.

تذكرت كاسندرا ذلك السرير الضخم الذي كان يحتل معظم مساحة الغرفة تقريباً، وتذكرت حين قال لها إنه عندما تستيقظ الطفلتان تنضمان إليه لتندسا تحت الأغطية وتسمعا المزيد من الحكايات. بإمكانها أن تعيش كل هذا بقولها كلمة «نعم» فحسب.

قال جيرد هازلاً: «حان وقت النهوض من النوم، فجدّي يحضر لكم الفطور».

تمنت كاسندرا لو يذهب، فقد كانت تود الخروج من السرير. لكنها وجدت ذلك صعباً لوقوفه هناك ينظر إلى كل حركة!

ابتسم وبقي واقفاً مكانه.

سألته: «أتريد أن ترتدي الطفلتان ملابسهما أولاً؟».

- لا، أفضل أن تبقيا بملابس النوم.

- أمّا أنا فأفضل أن أرتدي ملابسي قبل تناول الفطور.

- أسرعي إذن، فقد وضع جدي أول دفعة من الكعك في المقلاة.

قفزت الطفلتان من السرير وتسابقتا نحو الباب.

بينما بقيت كاسندرا في سريرها تنتظر رحيله كي تنهض.

- أتريدين مساعدة؟

حملقت فيه، كان يعلم بحيرتها... تباً له!

- اذهب وساعد ابنتيك!

ضحك برقة، ثم ابتعد عن الباب، لكنه لم يتوجه إلى المطبخ وإنما

دخل الغرفة. وأخذت تنظر إليه، متسمرة في مكانها، وهو يتوجه إلى سريرها. كان قلبها يخفق ولم تستطع أن تتنفس. أحكمت قبضتها على البطانية وهي تراقب كل حركة منه. لم تثق بذلك اللمعان في عينيه، لم تثق به على الإطلاق!

قال وهو يميل نحوها: «صباح الخير».

ولم تعرف هي كيف مال رأسها إلى رأسه، وكيف ارتفعت ذراعاها لتطوقا عنقه؟ وما الذي جعلها تتشبث به هكذا؟ لم تكن تريد أن تشجع هذا الرجل! فلديه ما يكفي من الأفكار الخطرة!

سمعت صوت سيلاس ينادي من المطبخ: «جيرد! بات الفطور جاهزاً على المائدة!».

ابتعد جيرد عنها وجلس على حافة السرير قائلاً: «آه، صوته هذا يعني (تعال إلى هنا حالاً)، فأنا أتذكر تلك النبرة مذ كنت صبياً».

ـ ألا تظن أنه من الأفضل أن تذهب؟

أرادت أن تلقي بنفسها بين ذراعيه مرة أخرى، وشعرت بأن دماً ساخناً يجري في عروقها.

ـ هل ستنهضين؟

ـ نعم، بعد أن تذهب.

وشدت الأغطية على جسمها إلى الأعلى وراحت تحدّق به: «ما كان عليك أن تكون هنا!».

فابتسم بجرأة: «أنا أحب هذا المكان كما أحب أن أكون بقربك!».

ـ ما زال الجواب (لا).

قالت ذلك، تذكره بعرضه المشين للزواج بها.

ـ لا أتذكر أنني ألقيت عليك أي سؤال.

ـ هذا يتعلق بالليلة الماضية.

ـ آه، ذلك السؤال، لا أريد أن أناقشه الآن. ربما فيما بعد.

ـ لا، لقد سبق وأعلمتك بجوابي.

ـ كاسندرا، أنت جديدة في مسألة التفاوض! لم تسمعي كل النقاط بعد. هناك ثمن على الدوام. وعليّ أن أعرف ما الذي تريدينه الآن لقاء قبولك عرضي؟

وأمسك بيدها يتأملها، ويمرر أنامله على بشرتها الناعمة.

ـ أنت تجعلني أشعر الآن وكأنني قطعة أثاث تريد أن تشتريها.

ـ وربما أرشوك؟

وفكرت كاسندرا بأنه يكفي أن يعانقها ست مرات يومياً.

استجمعت كرامتها وسحبت يدها قائلة: «أرجو أن تتركني وحدي لأرتدي ثيابي».

ـ لا ترتدي ثيابك لأجلي!

ـ لكنك ترتدي ثيابك!

ـ يمكنني أن أغيرها.

ومد يده إلى الزر الأعلى في قميصه فأغمضت عينيها وقالت: «لا، اذهب وتناول فطورك».

عندما نهض واقفاً، سمعت كاسندرا ضحكته الخافتة وهو يبتعد. وفكرت كم هو مثير للأعصاب.

(لن أتزوج لأكون مجرد حاضنة). قالت هذا وهي تمشط شعرها بالفرشاة. وعندما رضيت عن مظهرها في البنطلون الجينز المريح والقميص الأصفر، ألقت بقميص نومها في غرفة النوم وأسرعت إلى المطبخ. ليس من اللائق أن تسيء معاملة سيلاس بسبب غيظها من جيرد.

عندما دخلت غرفة الطعام، سألها سيلاس: «هل نمت جيداً؟».

ـ بشكل ممتاز!

وجلست على الكرسي الذي أشار إليه الجد، متجاهلة جيرد، ثم نظرت إلى كومة الكعك في طبقها. فقالت: «لن أستطيع أن آكل كل هذه!».

فقال جيرد: «كلي قدر ما تشائين، وسنلقي الباقي خارجاً للعصافير».

bookelromancia.com

فقالت بريتاني والقطر يتلألأ على ذقنها: «إنه كعك حلو».

وقالت أشلي بفم محشوّ: «ولذيذ جداً!».

فقالت لها كاسندرا: «ابلعي الطعام قبل أن تتكلمي!».

لقد تكلمت من دون أن تفكر بما قالته، فبدت كالأم تماماً. ثم نظرت إلى جيرد ولم تعجبها تعابير وجهه. لقد قالت له (لا) عشر مرات. ألم يسمعها؟

أكلت كاسندرا بسرعة، راجية أن يتمكنوا من الرحيل في أسرع ما يمكن.

كان قدومها إلى هنا، غلطة. إنها بحاجة إلى البقاء بعيداً عن جيرد، فهو لن يصغي إليها. فليذهب ويبحث عن أم أخرى لابنتيه.

انقبض قلبها لهذه الفكرة. إذا وجد امرأة أخرى، لن يدعوها لكي تساعده برعاية بريتاني أو أشلي. ستكون هناك امرأة أخرى تفتنها الطفلتان وتضحك لتصرفاتهما، ويذوب قلبها عندما تراهما فرحتين وتبتسم راضية.

قررت كاسندرا أن تهتم بعملها، وفكرت أنه عليها أن تعود إلى بيتها، لتفكر بكل هذا بهدوء، لكن جيرد لم يكن مستعجلاً. عندما اغتسلت الطفلتان وارتدتا ملابسهما، خرجوا، ورافقتهم كاسندرا بعد أن طلب منها جيرد ذلك، كونها خبيرة بأمور الأولاد.

كان النهار رائعاً، والشمس تتألق في سماء صافية والنسيم يحمل شذا الصنوبر والأرز.

اقترحت كاسندرا عليهم لعبة فراحت الطفلتان تركضان بسرعة وتقهقهان ضاحكتين. وبعد عدة جولات، قالت كاسندرا للطفلتين: «لم أتوقع أن يشترك والدكما معنا».

نام جيرد ووضع يديه تحت رأسه قائلاً: «لم ألعب هكذا منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً».

نظرت إليه كاسندرا وقد أغمض عينيه. وتمنت لو تلمس وجهه بأصابعها وتشعر بحرارة جلده.

جلست بريتاني بجانب جيرد وأخذت تضربه قائلة: «لا تنم».

ففتح عيناً واحدة وابتسم قائلاً: «لست نائماً، أنا أرتاح فقط!».

فقالت كاسندرا: «بابا رجل عجوز يريد أن يرتاح بعد اللعب».

فقال دون حرارة: «خدّاعة، ستجعلينهما تصدقان ذلك!».

وصرخت بريتاني تقول لأشلي: «بابا عجوز!».

ـ اثنان وثلاثون لا تعني أنني عجوز!

ـ إذا كنت في الثانية من عمرك ستعتبر عجوزاً كذلك!

ـ كم عمرك أنت؟

ـ خمسة وعشرون.

فقال دون أن يفتح عينيه: «هذا يجعله زواجاً حقيقياً يا كاسي. يمكنك أن تنجبي لي المزيد من الأطفال إلى جانب هاتين الطفلتين. وعندما يكبرون ويذهبون إلى المدرسة، تعودين أنت إلى ممارسة عملك!».

أخذت كاسي تنظر إلى الطفلتين بينما سرت في جسدها الحرارة لكلماته. أطفال من جيرد؟ ربما تنجب صبياً صغيراً في المرة التالية... صبياً صغيراً قد يرغب بأن يمضي فصول الصيف مع سيلاس، ويلعب في الجبال وينشأ مثل أبيه. أخذت نفساً مرتجفاً ثم وقفت وقالت: «لقد تأخرنا، علينا أن نحزم أمتعتنا لنعود إلى بلدنا. أظننا أنهكناهما بالركض، وقد تنامان طوال رحلة العودة!».

أخذت كاسندرا تتأمل جيرد وهو ينهض من دون جهد. ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلاحظ قوة جسمه وعرض كتفيه. كان يبدو في بذلة العمل جاداً رزيناً، أما الملابس العادية فكانت تبرز رجولته ومظهره الجذاب. أغمضت عينيها وأشاحت بوجهها، فاقترب منها.

ـ كاسي؟

ـ ماذا؟

ـ حان الوقت لنتحدث في أمر معيّن، أمر أظن أنه سيعجبك.

نظرت إليه حابسة أنفاسها، وفجأة أدركت أنها تحبه! لقد بقيت أشهراً معجبة به. وكانت تسر لأي إطراء يوجهه لها حول عملها. لكنها تنبهت خلال هذين الأسبوعين كم هو عزيز عليها.

خفق قلبها، لا يمكنها أن تتزوج هذا الرجل.. ومع ذلك، لا يمكنها أن تسمح له بأن يتزوج امرأة غيرها؟

مال جيرد نحوها وراح يتأمل وجهها، ثم رفع ببطء نظاراتها عن وجهها ووضعها في جيب قميصه.

- إذا تزوجتني سأقدّم لك مجاناً عشرين في المئة من شركة هنتر، وبذلك تضمنين مهنتك إلى الأبد!.

نظرت إليه مذهولة، وكاد يغمى عليها. حاولت أن تركز على عينيه القاتمتين وكان صدى كلماته يترجع في رأسها.

- ماذا قلت؟

- لقد سمعتني، عشرون في المئة نسبة جيدة! فأنا نفسي أملك فقط واحداً وخمسين في المئة، والتسعة والأربعون الأخرى هي إرث أشلي وبريتاني من أمهما، لكنه سيبقى ضمن الأسرة.

اغرورقت عيناها بالدموع. لقد أدركت لتوّها بأنها تحب هذا الرجل بينما هو يرشوها لكي تتزوجه، وتملكها الألم. أزاح جيرد خصلة من شعرها إلى خلف أذنها وبقيت اصابعه لحظة أطول على وجهها وكأنه يستمتع بنعومة بشرتها. ثم اخترق الصمت السائد قائلاً: «أنت تحللين كل شيء حتى النهاية، كما تحللين التسوّق تماماً. قولي نعم، يا كاسي».

- لكن ذلك لن ينجح أبداً!

- بل سينجح طبعاً، سنحرص على ذلك! قولي نعم.

حبست أنفاسها، والأفكار تدور في رأسها. تنفست بعمق وألقت بالحذر عرض الحائط، ثم أومأت بالقبول.

ابتسم جيرد ومال نحوها. وإذ لفحت أنفاسه وجنتيها، أغمضت عينيها وانتظرت أن يعانقها، وإذا بصوته يهدر في أذنها: «أشلي، لا».

وتركها واندفع نحو الطفلة، التي كانت على وشك وضع أزهار برية في فمها. فنظرت إليه كاسندرا وقد تملكها الاضطراب، إنهما خطيبان منذ ثمانية ثوان فقط، ومع ذلك تجاهلها لأجل طفلتيه، هل هذا يدل على نوع حياتهما المقبلة؟ ستحاول أن تمنع ذلك، لكنها ستحرص على ألا تدعه يعلم أنها تحبه، فهو من ذلك النوع الذي ينتهز ذلك لمصلحته.

***

كانت رحلة العودة هادئة، فقد نامت الطفلتان في مقعديهما حالما ابتعد جيرد بالسيارة عن بيت جده. أمّا هي فراحت تفكر بعملها، وبالمسودة التمهيدية التي عليهم أن يضعوها قبل المباشرة بالمشروع الذي خططت له. أترى «ميلاني» أنهت الجزء الخاص بها في المشروع؟ سيكون على كاسندرا أن تتأكد من ذلك في الصباح الباكر. بعد العمل، سوف تنصرف لشراء بعض الأغراض. حاولت أن تبعد ذهنها عن التغيير البالغ الأهمية الذي قلب حياتها، لكنها لم تستطع الاستمرار في ذلك طويلاً.

إذا تزوجا فلن تعود بحاجة إلى شقتها. لقد وافقت على الزواج من جيرد هنتر. أتراها اقترفت خطأ بذلك؟ نظرت إليه متسائلة متى تراه ينوي الزواج بها؟ وهل يمكنها حقاً إتمام هذا الأمر؟ إذا لم تتزوجه، سيتزوج امرأة أخرى. وهذا ما قوّى من تصميمها على الزواج به.

نظر إليها جيرد وهي غارقة في التفكير، فقال لها بهدوء: «هل تراجعين أفكارك؟».

- ربما.

فقطب حاجبيه وقال: «أفكر في إتمام الزواج يوم الجمعة القادم. سأطلب من هيلين إنجاز المعاملات لنتزوج في أي يوم من هذا الأسبوع!».

فتملكها الذعر: «بهذه السرعة؟».

- هل من سبب للانتظار؟

هزت رأسها نفياً . . . آملة بأن تعتاد على هذا.

تجاوز جيرد بيتها وتابع السير إلى بيته مباشرة، حيث ساعدته في إطعام الطفلتين. كانت قبلاً تشعر بالارتباك والغربة في تلك الشقة. أما الآن فقد بدأ كل شيء يبدو مألوفاً.

بعد أن استعدت الطفلتان للنوم، ركضتا إلى غرفة الجلوس، جاهزتين للاستماع إلى الحكاية.

قال جيرد وهو يحمل أشلي ويضعها على ركبتيه: «اليوم، ستحكي لنا كاسي الحكاية».

عندما جلست كاسندرا، مال عليها بسرعة يطبع قبلة على جبينها وقد برز تحد غريب في عينيه. لم تستطع كاسندرا أن تتنفس أو أن تركز على سرد الحكاية. وما إن انتهت حتى كانت الطفلتان غارقتين في النوم، على الرغم من قيلولتهما الطويلة. فحملتهما مع جيرد، إلى غرفتهما ووضعتهما في سريريهما. وللمرة الأولى، أخذت تفكر في ما وافقت عليه. سيكون لها دور فعال في حياة هاتين الطفلتين الغاليتين. وستكون الذكرى التي يتذكرانها. ستأخذهما إلى المدرسة، وتحضر مسرحياتهما في أعياد الميلاد، وتسمّع لهما دروسهما، وتمسح دموعهما عندما تصبحان مراهقتين، ويصبح الفتيان بالنسبة إليهما مصدر إرباك وخيبة أمل.

وكانت تعلم أنها ستحبهما إلى أن تموت، تماماً كما تحب أباهما.

والتفتت تبتسم لجيرد بخجل.

وسار أمامها إلى غرفة الجلوس وهو يسألها: «هل أنت متلهفة للخروج أم يمكنك البقاء لنتحدث عدة دقائق؟».

أجابت: «يمكنني البقاء إذا أردتني أن أبقى».

فنظر إليها متأملاً: «تتكلمين كموظفة ممتازة. أنت شريكة الآن، يا كاسي، وبعد أقل من أسبوع ستكونين زوجتي».

- وماذا تتوقع من هذا الزواج يا جيرد؟ الطاعة؟ أن أنحني لإرادتك بخنوع؟.

فضحك قائلاً: «لا أنتظر ذلك منك، بل أتوقع منك أن تفعلي كل ما ترينه صواباً، وتعلميني به فيما بعد».

وبدا الجد على وجهه فجأة، وجذبها إليه وأراح جبهته على جبهتها: «أريد أن تكوني زوجة محبة، تساعدني مع الأطفال وفي العمل. لا أتوقع منك أن تبقي في البيت وتكرسي نفسك لأشلي وبريتاني. ولكنك ستكونين موجودة كل ليلة وكل إجازة أسبوعية، كما سأكون أنا تماماً».

تمنت لو يكف عن الحديث ويعانقها ليبدد كل شك آخر في حياتها.

- أريد امرأة تشاركني أموري. إياك أن تهربي إلى نيويورك.

وجدت أن ما قاله غير ممكن، فوعدته بعدم التخلي عنه.

احتضنها بشدة وكأن ليس على كوكب الأرض سواهما. وكادت كاسندرا هي أيضاً، تنسى أنهما ليسا وحيدين على هذا الكوكب!

* * *

٨ ـ ماما رقم اثنين

عندما أخبر جيرد هيلين، في اليوم التالي، عن خطبتهما، لم تندهش لذلك. كان يتوقع شيئاً من الذهول بدلاً من تلك الابتسامة الماكرة التي ارتسمت على وجهها. نظر إليها بغيظ، ثم طلب منها الدخول إلى مكتبه. وعندما أغلقت الباب خلفها، بادرته قائلة: «تهانيّ، أظن أنه حان الوقت لذلك!».

ـ حان الوقت؟ ولكن لم يمض شهران بعد على موت مارلين؟ أنا استعجلت الزواج.

ـ أعني أن تعثر على امرأة تحبها وتتزوجها. أنت ومارلين كنتما متشابهين جداً، أعرف أنكما تزوجتما لتنشئا شركة. أما الآن، فقد حان الوقت لتحصل على زوجة لنفسك، وليس كما كان الأمر مع مارلين! كن سعيداً أيها الرئيس، ولا تقلق لذلك.

فتح جيرد فمه ليصحح لهيلين معلوماتها الخاطئة، لكنه عاد فأطبقه. إذا شاءت أن ترى في هذا زواج حب، فلا داعي لأن يحطم لها فكرتها هذه. يكفي أن كاسندرا تعلم الحقيقة. لقد ذكرت الحب أمس، لكن جيرد كان يعتبر أن الحب شعور غير واضح من المفروض أن يربط الناس ببعضهم البعض. والزواج من دون حب يمكن أن ينجح، عندما يحترم الزوجان بعضهما بعضاً ويتشاركان هدفاً واحداً. كان جيرد متشوقاً للعمل، فبدأ بوضع قائمة بالمهمات التي سيكلف بها هيلين. عندما ينتهي من أمر الزفاف، يمكنه أن يركز أفكاره على عمله.

سألته هيلين: «وما هو شعور كاسندرا حيال هذا؟».

ـ لقد وافقت على الزواج بي.

قال هذا وقد تملكه شعور بالرضى عن النفس، لقد وافقت ولن يدعها تغير رأيها.

ـ لا أعني بالنسبة لذلك، أعني عن خططكما بالنسبة إلى العرس. من المعتاد أن تقرر العروس هذه الأمور بنفسها.

فقطب جبينه: «لا أدري».

ـ أنصحك أيها الرئيس بأن تسألها على الأقل!

فأمرها قائلاً: «استدعيها!».

دخلت كاسندرا مكتب جيرد تلبية لدعوة هيلين. نظرت أولاً إلى جيرد ثم إلى هيلين. هل كان هذا اجتماعاً؟ وابتسمت هيلين بحرارة: «تهانيّ، وتمنياتي الطيبة!».

بادلتها كاسندرا ابتسامتها وانتابها التوتر. كلما فكرت بالأمر، زاد توترها. ولكن، نظراً للحب الذي كانت تكنه لجيرد، لم تكن تستطيع أن تقف جانباً وتدع امرأة أخرى تتزوجه وتشاركه حياته وحياة التوأمين. كانت تريد ذلك لنفسها.

ـ طلبت من هيلين أن تضع ترتيبات حفلة الزفاف، ستحجز قاعة في «سيتي هول» ليوم الجمعة، وترى الإجراءات التي يجب أن نقوم بها.

عندما جلست كاسندرا بجانبه إلى المكتب، قالت: «في الواقع، يا جيرد، علينا أن نتحدث أكثر عن هذا الأمر!».

ـ ماذا هناك لنتحدث عنه؟ لقد وافقت على الزواج بي وانتهى الأمر.

ـ لا، بل هي البداية! ولكن ليس هذا ما أعنيه. بعد أن عدت إلى بيتي الليلة الماضية، أخذت أفكر. هذا هو عرسي الوحيد، ولهذا لا أريد حفلاً سريعاً في «سيتي هول».

مال إلى الخلف بحيرة: «لا تقولي إنك تريدين عرساً فخماً تستغرق ترتيباته ستة أشهر أو أكثر؟».

- لا، ليس كذلك، فأنا لا أنتمي لأسرة كبيرة، ولكن لي بعض الأصدقاء الذين أريدهم أن يحضروا، وأفترض أن لديك أصدقاء يجب أن يحضروا. وكذلك جدك! . أريد عرساً في كنيسة، فكرت في أن نقيم العرس في كنيسة صغيرة قرب «كولومبس». إذا لم يكن لدى هيلين مانع، لم لا نحجزه ليوم الجمعة، سنتبع الخطة نفسها التي رسمتها، لكنني لن أتزوج في «سيتي هول».

فسألها: «كم من الأصدقاء ستدعين إلى العرس».

- أريد أن أدعو أعضاء فريقي في العمل، وبعض الجيران. كما أن بإمكان صديقتي سوزي أن تكون إشبينتي . . . أي حوالى عشرة أشخاص.

- عشرة!.

وحدق إليها. لم يكن يتوقع هذا العدد، فقد كان ينوي إقامة احتفال بسيط لشرعية العلاقة. هكذا كان عرسه مع مارلين، والآن كاسندرا تتحدث وكأنها عروس حقيقية. لكنها كذلك طبعاً. ونظر إليها لحظة، وتساءل عما إذا كان على صواب في الإلحاح عليها بقبول الزواج منه. إنها صغيرة وأمامها الحياة كلها، هل من العدل أن يربطها برجل لديه طفلتان، سبق له أن تزوج لمجرد المصلحة. هل ستكرهه على مرّ السنين؟

أضافت هيلين: «هناك عدة أشخاص سيتكدرون جداً إذا أقام جيرد عرسه دون أن يدعوهم».

فقال لها بحدة: «لست بحاجة إلى رأيك».

فقالت كاسندرا: «بل أنت بحاجة إليه! إذا كانت هي منظمة حفلة العرس، علينا، نحن الاثنين، أن نصغي إليها، كم علينا أن ندعو من ناحية جيرد؟».

وكان كلامها الأخير موجهاً إلى هيلين.

- مدير موظفيه، ووكيله القضائي، وعدة أصدقاء من مختلف المنظمات التي ينتمي هو إليها. هذا بالإضافة إلى جده. فيبلغ مجموع المدعوين اثني عشر مدعواً أو أكثر.

فقال: «هذا يعني أن العرس سيضم أكثر من عشرين شخصاً!».

فقالت كاسندرا: «أنت ماهر في الأرقام دوماً. وما المشكلة في هذا؟ ولا تنسى أن الطفلتين يجب أن تكونا حاضرتين».

- إنهما طفلتان، والأطفال لا يذهبون إلى الأعراس.

- بل ستذهبان، عليهما أن تكونا هناك!

ولم تدع كاسندرا نفسها تنزعج رغم أن نظرته الغاضبة جعلت نبضات قلبها تتسارع. لقد فكرت الليلة الماضية طويلاً في كل شيء. إذا كانت سترغم على زواج مصلحة، فهي ستصرّ على أن يكون لها رأي في الأمور. وكما كانت تقول أمها بالتبني (ابدأ بالشكل الذي تريد أن تستمر عليه).

حدّق جيرد إليها لحظة طويلة، ثم أومأ قائلاً: «تصرفي كما تريد العروس، يا هيلين».

***

مرّ الأسبوع سريعاً. وكانت كاسندرا تتساءل ما إذا قامت بالعمل الصواب. وإذ كانت أفكارها مشتتة، أصبحت عرضة للمزاح بين أفراد فريقها في العمل. وقد تملكتهم الرهبة في البداية، لفكرة زواجها من الرئيس، لكنهم سرعان ما عادوا يعاملونها كزميلة لهم بعد أن رأوا أن تصرفها لم يختلف معهم. فكاسندرا لم تكن من أولئك الأشخاص الذين يتباهون بالمظاهر، هذا لأن الوضع بأجمعه بدا لها أشبه بحلم، فكيف تؤمن به، وتتصرف بوحيه؟

عندما اقترح جيرد عليها أن تنقل مكتبها بجانب مكتبه، رفضت ذلك، إذ لم تكن تريد أي تمييز لها بصفتها زوجة الرئيس. عندما أصرت على الرفض، قال لها: «أنت أيضاً شريكة في المؤسسة وهذا يجعلك الرئيسة!».

- هذا بعد الزواج، وعلى الأوراق فقط. فأنا لا أعرف إلا القليل بالمقارنة بك وبقية المدراء ذوي الأسبقية. وستمضي سنوات قبل أن

أتمكن من اتخاذ قرارات كبرى، وربما ندع جانباً مسألة إعطائي حصة في الأسهم».

ـ ندع جانباً؟

ونظر إليها باضطراب ثم تابع قائلاً: «الأسهم هي التي غيّرت رأيك بهذا الزواج. ماذا تعنين بقولك (ندع جانباً)؟ هل تحاولين أن تقولي لي إنك غيّرت رأيك وإنك ترجئين الزفاف؟».

فهزت رأسها ساخطة: «لا، أنا لا أحاول أن أرجىء أي شيء... ما عدا وضع الأسهم باسمي، ظننتك ستكون سعيداً لهذا!».

قال مفكراً: «ظننت أن هذا ما رجّح كفة الميزان فجعلك تقبلين».

فابتلعت ريقها ونظرت إلى الملاحظات على الورق أمامها. لم تستطع أن تخبره أنها قبلت الزواج به كي لا تتزوجه امرأة أخرى، فهو سيطلب أن يعرف السبب، وهذا ما لا تستطيع أن تخبره به.

ـ أظن فقط أنه علينا أن ننتظر. هذا كل شيء!

ـ لا بأس إذن، دعيني أعلم حين تشائين ذلك.

قال هذا، وعاد يناقش معها المشروع الذي كان بين يديه.

***

عندما حل صباح الجمعة، كانت كاسندرا متوترة الأعصاب كثيراً، كانت قد قامت بكافة الاستعدادات، فوضعت في حقائبها ما يكفي من الملابس، كما قامت بعرض شقتها للبيع.

عندما كانت ترتدي ملابسها صباح يوم الجمعة، كانت تتساءل بقلق عما إذا كان قرارها قبول الزواج به، صائباً.

سألتها سوزي صديقتها، التي كانت ترتدي فستاناً وردي اللون، يُبرز سمرة لونها: «كاسندرا... هل أنت بخير؟».

طرقت كاسندرا بعينيها، ثم ابتسمت وقالت: «نعم، طبعاً! أظنني متوترة قليلاً، هذا كل شيء!».

تأوهت سوزي وقالت ضاحكة: «كم أتمنى أن يكتسحني حب رجل طويل وسيم وأسمر، أنا أيضاً!».

بادرت كاسندرا إلى تصحيح خطأ سوزي، لكنها عادت وغيرت رأيها، فلتدع صديقتها تظن بأن زواجهما شاعري، لأنها سوف تشتت أحلامها، إذا أخبرتها بالحقيقة.

***

ـ أنا أساعد.. بابا.

قالت بريتاني هذا عندما ربطت شريط حذاء أبيها.

ـ شكراً يا حبيبتي، لكنني أظن أنه بإمكان بابا أن يربط شريط حذائه بنفسه!

ورفع فردة الحذاء من بين يديها وأخذ يفك الشريط المربوط، متسائلاً عما إذا كان من الأسرع أن يقطعه ويضع مكانه شريطاً جديداً.

كانت الاثنتان تريدان مساعدته، وألقى باللوم على كاسندرا فقد أصرّت على أن تحضرا العرس، وإلا لكانتا بقيتا مع جينيفر، دون أن تعلما شيئاً عن الأمر.

ألقى بفردة الحذاء وسط السرير ليبقيه بعيداً عن يدي بريتاني، واندفع نحو الحمام بحثاً عن أشلي، فرآها على كرسي المرحاض، وكريم الحلاقة يغطي وجهها. كانت الرغوة منتشرة في كل مكان، على الجدران والمرآة وقميص نومها.

قال لها معنفاً: «أشلي، ألم أقل لك أمس ألا تعبثي بأغراض بابا؟».

ـ أريد أن أحلق!

ـ البنات الصغيرات لا يحتجن إلى الحلاقة، وكذلك الصبيان الصغار!

وجاءت بريتاني إلى الباب فضحكت قائلة بابتهاج: «رجل الثلج! وأنا أيضاً».

ـ لا!

وأخرج بريتاني من الحمام، ثم أخذ ينظف أشلي. ودّ لو كانت كاسندرا معه، فتهتم بواحدة منهما، أو على الأقل كان هذا ما يرجوه.

غسل وجه أشلي وانتبه إلا يلطخ ثيابه بالكريم، ثم شطف شعرها بالماء وأرسلها إلى غرفتها، وحاول أن ينظف الحمام.

غيّر جيرد ملاءات سريره حالما استيقظ هذا الصباح، وأفسح في غرفة ملابسه مكاناً لملابسها.

- بابا... أريد كاسي.

- سآتي إليك بعد لحظة!

كان يرجو أن تغطّ ابنتاه في نوم عميق الليلة. ربما عليه أن يأخذهما بعد الظهر إلى الحديقة العامة، فتلعبان كثيراً وتستغرقان في النوم سريعاً.

***

كان جيرد قد أرسل إلى كاسندرا سيارة ليموزين. صعدت كاسي إلى المقعد الخلفي وكأنها اعتادت على ذلك طوال حياتها وساعد السائق سوزي على الدخول، ثم وضع الحقائب في صندوق السيارة.

سألتها سوزي وهي تفحص كل شيء: «إنها سيارة بغاية الترف، هل ستسافرين دوماً بالليموزين؟».

- طبعاً لا، لدى جيرد سيارة جيدة، وقد ذهبنا فيها إلى سونورا، خلال العطلة الأسبوعية الماضية.

- لم نتحدث إلا القليل عن هذا الرجل. أريد أن أعرف عنكما كل شيء. أنت أفضل صديقاتي ولن أسمح لك بالزواج إلا بعد أن أبارك الزواج!

وضحكت سوزي مازحة.

- وماذا تريدين أن تعلمي؟

- متى أدركت أنك تحبينه؟

- في فناء بيته في سونورا، أثناء العطلة الأسبوعية الماضية، وقبل أن

يعرض عليّ الزواج مباشرة.

- آه، أخبريني المزيد.

رأت كاسندرا أنه لم يكن هناك الكثير ليقال، لكنها حاولت جهدها أن تصور لصديقتها علاقتها بجيرد، علاقة شاعرية وسعيدة، وبالغت في عدد المرات التي كانا يمضيانها وحدهما. وأدركت كاسندرا أنهما لم يخرجا قط في موعد حقيقي، وأنها ستتزوج قبل أن تحصل على فرصة للخروج معه. تجاهلت وخزة خيبة الأمل التي انتابتها، وأخذت تزخرف كل اجتماع، مركزة حديثها على مظهره وحديثه وكيف يذوب قلبها بمجرد النظر إليه.

وعندما توقفت الليموزين أمام الكنيسة، عانقت سوزي كاسندرا وقالت، بينما كان السائق يفتح لهما باب السيارة: «أتمنى لك السعادة من كل قلبي!».

سارت كاسندرا، وقد تملكها التوتر، بجانب صديقتها الى داخل الردهة. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة. حيّاها الكاهن ودخلت هيلين بابتسامة عريضة.

قالت لها هيلين: «لن تكوني عروساً من دون باقة ورد!».

ثم قدمت إلى كاسندرا باقة من الورود البيضاء والوردية، كما قدمت إلى سوزي باقة من الورد الأصفر.

عانقت كاسندرا هيلين وقد تأثرت برقتها واهتمامها وشكرتها وقد اغرورقت عيناها بالدموع، ثم أخذت تطرف بعينيها بسرعة محاولة أن تستعيد اتزانها.

سألتها هيلين: «هل أنت جاهزة؟».

وعندما أومأت كاسندرا، ابتسمت هيلين وقالت لها: «ثمة شيء آخر، لقد طلب مني جيرد أن أرفع نظاراتك».

- نظاراتي؟ لكنني بحاجة إليها.

- أطيعي الرجل، يا حبيبتي! إنه لا يطلب الكثير.

فأومأت كاسندرا، ورفعتها عن عينيها وناولتها إياها فصار كل شيء بعيداً عنها.

كادت كاسندرا تختنق فلم تستطع الكلام، إنه عرسها وسيبدأ بعد ثوانٍ، وسترتبط بجيرد حتى آخر حياتها.

ابتسمت سوزي لها وسارت نحو الباب. وعندما علا صوت الموسيقى، فتح الباب على مصراعيه.

أجفلت كاسندرا لرؤية كل هؤلاء الناس، وترددت. كانت تعلم أنهم لا يتجاوزون الثلاثين شخصاً الذين تحدثا عنهم، لكنهم بدوا لها وكأنهم جمع غفير. كانت كل الأعين عليها، فجمدت مكانها، وهمست لها سوزي وهي تدفعها بمرفقها: «هيا! إنها موسيقى الزفاف».

وأمام المذبح، رأت جيرد، فبدا لها طويلاً وبعيداً، ورغم أنها لم تكن تستطيع رؤيته بالضبط، استطاعت أن تشعر بقوة نظراته من حيث كان يقف. ثم تحوّلت نظراتها إلى اليمين، كان قد طلب من جده أن يكون شاهده، وأدركت أن سيلاس سعيد.

تنفست بعمق وهي تسير نحو الأمام، وكادت تتعثر بقدميها، عندما رأت طفلتين متماثلتين تحدقان إليها وتضحكان لها. كان ثوباهما وردي اللون كلون ورود باقتها. وبدت الطفلتان رائعتين للغاية. وأدركت أن قبولها بهذا الزواج هو قرار صائب، لكونها ستعتني بنفسها وبهاتين الطفلتين. فرق قلبها واغرورقت عيناها بالدموع وهي تسير في الممر خلف سوزي.

عندما وصلت إلى جيرد، أومأ لها برأسه ثم التفت إلى الكاهن.

وقالت أشلي: «مرحباً، كاسي!».

فابتسمت وهمست لها: «مرحباً».

وبدأ الكاهن يقول: «أعزائي...»

وإذا ببريتاني تقف أمام كاسندرا وتقول لها رافعة ذراعيها: «احمليني».

وقالت أشلي: «وأنا أيضاً!».

فقال لهما جيرد بهدوء: «ليس الآن!».

فهمست كاسندرا: «يمكنهما أن يريا بشكل أفضل إذا كانتا عاليتين».

وناولت سوزي باقة الورد ثم انحنت لتحمل بريتاني، وبعد أن سوّت ثوب الطفلة، منحت جيرد ابتسامة مشرقة ثم تحولت نحو الكاهن.

ـ وأنت تتهمينني بأنني أدللهما!

وبعد ثانيتين، كان جيرد يحمل أشلي وقد بدا كل شيء طبيعياً، وكأن كل عريس يحمل طفلاً على ذراعه أثناء تبادل العهود مع عروسه.

ارتسمت على وجه الكاهن ابتسامة عريضة ثم بدأ مرة أخرى.

التقت عينا كاسندرا بعيني جيرد. واجه كل منهما الآخر بينما الكاهن يتلو كلماته الأزلية. وعندما سأل جيرد عما إذا كان سيأخذ كاسندرا زوجة له، رنّ صوته عالياً وهو يقول: «نعم!».

كانت الطفلتان هادئتين، متأثرتين برهبة الموقف. وعندما طلب الكاهن من كاسندرا أن تكرر عهودها، اشتدت قبضتها على بريتاني. لم تكن تتزوج جيرد هنتر فحسب، بل توافق أيضاً على أن تكون أماً لهاتين الطفلتين الصغيرتين. وجدت أن وجودهما في هذا الاحتفال كان ملائماً وكان تبادل الخاتمين والطفلتين على ذراعيهما، مربكاً تماماً، لكنه انتهى على خير.

ـ يمكنك أن تقبّل عروسك.

تألقت عينا جيرد، ثم انحنى ببطء ليقبّل كاسندرا. فأعلنت أشلي: «بابا قبّل كاسي!».

تعرفت كاسندرا على نصف المدعوين، آملة أن تتمكن من أن تتذكر أسماءهم. وسرّها أن ترى النساء والرجال الذين تعمل معهم وجيرانها سعداء يشاركونها فرحة هذا اليوم.

بدا سيلاس وكأنه صديق قديم، احتضنها بشدة وهو يقول بخشونة: «كوني طيبة مع ولدي!».

كانت هيلين قد رتبت أمر حفلة غداء صغيرة في ناد خاص في «نورث بينش»، فتوجه جميع المدعوين إلى هناك.

***

أخذت كاسندرا ترشف العصير باسمة، وراحت تشكر كل ضيف لقدومه. وعندما حلّ العصر كانت وجنتاها تؤلمانها، وكذلك قدماها، وشعرت بالدوار لكنها لم تشأ أن ينتهي النهار. فقد كانت تستمتع بوقتها كثيراً. وعندما غادرا، انتقلا إلى شقة جيرد لكي يبدآ حياتهما الجديدة معاً.

شعرت بقلبها يخفق، وبأفكارها تتشابك بحيث لم تستطع التفكير بوضوح، كان ذاك اليوم يوم الجمعة، وكانا سيذهبان إلى البيت بعد حفلة الاستقبال. وبعد أن يضعا الطفلتين في فراشيهما، يبدآن حياتهما معاً.

لم يكن عليهما أن يذهبا للعمل قبل يوم الاثنين، وهذا يعني أن لديهما يومين كاملين لا يعملان فيهما شيئاً سوى...

ـ يبدو وجهك متوهجاً، هل الجو حار هنا؟

سألتها هيلين، فأجابت: «لا، أنا بأحسن حال. والحفلة رائعة. لا أصدق أنك أنجزت كل هذا بهذه السرعة. كل شيء بالغ الجمال. أعلم طبعاً مدى كفاءتك، ولا يمكن لجيرد أن يتدبّر أموره من دونك، لكن عملك هذا لا يصدّق..».

وسكتت كاسندرا فجأة، فقد كانت تثرثر دون وعي. ونظرت إلى جيرد خلسة، وسرها أن تراه يتحدث إلى أحد أصدقائه. ومنحها هذا فرصة تتأمله فيها، من دون أن يشعر.

كان يبدو بنفس الهدوء الذي يبدو فيه أثناء اجتماعات العمل. ولم لا؟ فهذا الأمر، بالنسبة إليه، هو مجرد صفقة أخرى. صفقة عقدت ونفّذت.

وفجأة، تمنت من كل قلبها لو أن هذا الزواج كان زواجاً طبيعياً حقاً،

ولو أنه يحبها بقدر ما تحبه. كيف يمكنها أن تحتمل هذا سنة بعد سنة..؟ أن تطلب منه الإخلاص، فلا تحصل على غير التهذيب والكياسة؟

نظر إليها فالتقت أعينهما، ابتسم وأشار إليها بأن تأتي إليه. وعندما دنت منه، عانقها وشدّها إليه يسألها: «هل أنت جاهزة للخروج؟».

فتملكها الذعر: «الآن؟».

ـ لقد أكلنا، وتحدثنا مع الجميع، و قطعنا كعكة الزفاف. هل هناك سبب لبقائنا؟

فهزت رأسها: «لا أظن ذلك. أين البنتان؟».

ـ بريتاني مع جدي، وأظن هيلين أخذت أشلي منذ فترة.

ـ امنح هذه المرأة ترقية، إنها تستحقها!

ـ هل لأنها أخذت إحدى التوأمين الفظيعتين أم لأجل هذا النهار؟

ـ لأجل الاثنين!

وأمالت رأسها بشجاعة ونظرت مباشرة في عينيه: «لقد كانت حفلة استقبال جميلة للغاية».

ـ رغم وجود الطفلتين المشاغبتين معنا؟

ـ لم تكونا مشاغبتين بل كانتا حسنتي السلوك تماماً.

ـ ألم تشعري بأي خيبة أمل؟

ـ ولم أشعر بذلك؟ كان اليوم رائعاً، والليموزين سلبت لب سوزي.

ـ وأنت؟

فأومأت: «شكراً يا جيرد، كان كل شيء رائعاً!».

ـ ولم ينته بعد

سرت الحرارة في جسدها وقالت بصوت خافت: «لا. لا أظن ذلك!».

وهكذا ودّعا ضيوفهما، وحملا الطفلتين وصعدا إلى الليموزين، وعندما جلست في المقعد الجلدي الناعم، حاولت أن تبدو طبيعية وقالت أشلي من مقعدها المقابل: «احكي لنا حكاية يا كاسي».

فقال جيرد: «اسمها الآن ماما».

فقالت بريتاني: «ماما ذهبت».

- كاسي هي ماما الآن، يمكنك أن تناديها ماما!

فنظرت أشلي حولها وقالت: «ماما؟».

- جيرد، أظنك تربكهما، يمكنهما أن تستمرا بمناداتي كاسي.

- إذن سيحدث الارتباك عندما ننجب أطفالاً أنا وأنت. أشلي، بريتاني، كاسي هي ماما الجديدة. ماما الأولى ذهبت، لكن كاسي ستكون ماما الجديدة. ماما رقم اثنين.

فحاولت أشلي أن تفهم: «ماما اثنين؟».

لم تتفوّه كاسندرا بأي كلمة، فقد أخذ قلبها يخفق لذكر إنجاب أطفال منهما، هما الاثنين.

فسألته بريتاني: «كاسي، ماما اثنين؟».

- نعم، كاسي هي ماما رقم اثنين!

* * *

٩ - زوجة مع وقف التنفيذ

حمل سائق الليموزين حقائب كاسندرا إلى الشقة. بينما أمسك جيرد وكاسندرا بيدي الطفلتين وساروا جميعاً نحو المصعد بصمت. وعندما وصلوا إلى الشقة، أفلتت الطفلتان يديهما وأسرعتا نحو الباب. منح جيرد السائق هبة سخية، وأدخل الطفلتين.

- اذهبا إلى غرفتكما وسأكون معكما بعد لحظة لتغيرا ملابسكما.

قال لهما جيرد هذا، ثم أدخل حقائب كاسندرا، والتفت ينظر إليها: «هل ستدخلين؟».

أومأت بصمت ثم دخلت كارهة. كانت تحلم بأن يحملها عريسها ويخطو بها فوق عتبة بيتها الجديد.

أغلقت الباب ثم حاولت أن تتصرف بتعقل، فذكرت نفسها بأن ما يربطها بجيرد ليس علاقة حب، وكانت متأكدة من أن جيرد لم يفكر في ذلك قط.

نقل حقائبها إلى غرفة نومه، فيما رفعت هي قبعتها ووضعتها على منضدة بجانب الباب، وتوجهت إلى غرفة التوأمين. كانت ملابسهما جميلة للغاية، ولم تشأ أن تفسد الطفلتان ثوبيهما.

هل تشعر كل عروس بالخذل عندما ينتهي الاحتفال وتعود إلى الحياة الواقعية؟

نادته قائلة: «سأساعد الفتاتين في تغيير ملابسهما».

كانت تكافح في إلباس أشلي بنطلونها عندما ظهر جيرد عند العتبة.

www.elromancia.com

- يمكنني أن أقوم بنفسي بهذا العمل، إذا كنت تشائين أن تغيري ثيابك.

كان قد غير ملابسه فارتدى بنطلوناً عادياً وقميصاً مريحاً.

- لا بأس، ماذا تريد أن تفعل الآن، ماذا عليّ أن ألبس؟

- فكرت في أخذ الطفلتين إلى الحديقة العامة، علّهما تنامان باكراً.

- لن أتأخر إذن.

- يمكنك أن تفرغي حقائبك إذا شئت. يمكننا أن نذهب وتلحقي بنا بعد أن تنتهي من تغيير ملابسك، تذكري كيف أصرّت التوأمان على مساعدتنا في حزم الحقائب وكيف فعلتا ذلك، ولا أظن أنهم ماهرتان في إفراغ الحقائب كذلك!

تمتمت كاسندرا موافقة، ثم توجهت إلى غرفة النوم. لم تكن تتوقع كل ذلك. كانت تظن أنه سيقترح عليها أن يتناولا العشاء على ضوء الشموع، أو يصطحبها إلى ذلك المكان الذي دعاها إليه من قبل، حيث يرقصان.

ارتدت بنطلون جينز وكنزة وردية. وأخذت تستكشف غرفته. وعندما سمعت جيرد والطفلتين يخرجون، بدأت تعلّق ملابسها.

ثم أخذت تجول في أنحاء الشقة، محاولة أن توحي إلى نفسها بأنه بيتها الجديد، وبدا ذلك لها غريباً.

بعد ذلك توجهت إلى الحديقة العامة.

كان عثورها على أسرتها سهلاً، بفضل صراخ التوأمين وضحكاتهما. كانت هناك منطقة صغيرة للّعب مع أراجيح، وأجهزة للتسلق والتزحلق. وكان جيرد يدفع طفلتيه في الأرجوحة، وكانتا تضحكان وتصيحان بأن يدفعهما أعلى فأعلى.

سألتهم كاسندرا عند وصولها: «أتريدون مساعدة؟».

- أتريدين أن تتأرجحي؟

سألها هذا ضاحكاً لها. كان النسيم القادم من الخليج قد عبث بشعره

وجعله يبدو فتى عابثاً. فابتسمت وراودها خاطر بأن زواجهما سينجح.

- لا، سأجلس وأراقبكم.

فقالت بريتاني: «أريد التزحلق».

ومدت قدمها من الأرجوحة فصرخ بها جيرد: «أووه...».

أمسك بها وأوقف الأرجوحة وهو يقول: «يبدو أنها لا تعلم بأن عليها ألا تنزل قبل أن تتوقف الأرجوحة».

- سآخذها أنا إلى المكان الذي تتزحلق فيه! يمكنك أن تستمر في أرجحة أشلي.

نظر إليها متأملاً من رأسها حتى أخمص قدميها. ثم مال نحوها قائلاً: «تبدين جميلة، يا حبيبتي».

كادت ساقا كاسندرا تتهاويان تحتها، فقد كان إطراؤه هذا آخر ما توقعته، فتمتمت وقد بلغ الارتباك منها مبلغه: «شكراً لك!». لم تتوقع قط أن يقول لها جيرد شيئاً كهذا... أخذت تنظر إليه وإلى بريتاني، فبدا لها أصغر سناً وهو يضحك مع ابنته. كانت قد اعتادت عليه بمظهر رجل الأعمال الرزين، ما جعلها تشعر بالاستغراب وهي تراه بهذا الشكل المختلف الحميم. لم يرَ أيّ من الموظفين الآخرين في شركة هنتر هذه الناحية منه. ولا حتى مارلين، كما تظن!.

عندما عادوا إلى البيت، كانت كاسندرا تعبة كالتوأمين، بعد أن أمضوا طوال فترة العصر في اللعب والركض.

- سنتناول عشاء سريعاً ثم تستعدان للنوم.

تمتمت بذلك عندما وصلوا إلى الشقة. ولم تكن متأكدة ما إذا كانت هي ستنام أيضاً. فقد كان يوماً شاقاً، وكانت تتصور نفسها في كل لحظة، في سرير جيرد تلك الليلة، وأنهما متزوجان.

عندما دخلا المطبخ معاً، سألها: «كان يجب أن أسألك ماذا ستفعلين بالنسبة إلى العشاء؟ يمكننا أن نجد مقهى إذا لم ترغبي في الطهي هذه الليلة».

شعرت كاسندرا لحظة بأنها زوجة قديمة. السهولة التي أمضيا بها عصر هذا اليوم أثبتت أنهما منسجمان، لكن خفقان قلبها جعلها متوترة الأعصاب. وتساءلت عما إذا كانت ستعتاد على صحبة جيرد حتى ولو بعد سنوات.

ـ ألا تظن أن التوأمين تعبتان بحيث أنهما لن تستطيعا الخروج؟

سألته وهي تبحث في الثلاجة التي بدت ممتلئة، ثم تابعت تقول: «ستنامان حتماً أثناء انتظارنا الطعام في المطعم، لا بد أن ثمة شيء هنا يمكننا إعداده بسرعة، ماذا ترغب أن تتناول؟».

بجانب ذلك، كانت هذه ليلة عرسها، ولم تكن ترغب بالاهتمام بالطفلتين إذا تعبتا.

أجابها: «كل شيء وأكثري منه!».

فابتسمت كاسندرا وقالت: «أتذكر أمنا في دار الرعاية وهي تقول عندما كان الأولاد يأكلون وكأن ليس هناك غد، بأن هذا يعني أن الوقت قد حان لألبسة وأحذية جديدة في القريب العاجل».

سألها وهو يقف متكئاً على الجدار: «أما زلت تتصلين بوالديك بالتبني في دار الرعاية؟».

فهزت رأسها نفياً وهي تسحب بعض اللحم المفروم من الثلاجة.

ـ لا! هل لديك المكونات لصنع المعكرونة؟

ـ نعم، ولكن لماذا لا تتصلين بهما؟

نظرت إليه بدهشة لسؤاله: «لم نكن متآلفين، كانا يعتبرانني حاضنة أطفال ممتازة. وكنت أمثل، بالنسبة إليهما، الأجر الذي كانت الوزارة تدفعه لهما لرعايتهما الأطفال. لم أفكر فيهما قط بصفتهما أبوين، وإنما فقط أناس يحرسونني إلى أن أكبر وأعتمد على نفسي».

وهزت كتفيها محاولة ألاّ تظهر أي ألم. كانت متلهفة إلى أن يحبها أحد.

وفجأة، خطر لها شيء، فاستدارت تواجهه قائلة: «أنت لا تظن أن

بريتاني وأشلي ستفكران بي بذلك الشكل، أليس كذلك؟».

استقام جيرد في وقفته ببطء، ثم تقدم إليها وهو يهز رأسه: «إنهما تحبانك منذ الآن، وأنت تحبينهما، هذا واضح يا كاسي! ستكونين الأم الوحيدة التي يعرفانها ويتذكرانها، وستحبانك دوماً».

تأمل وجهها، وقال: «لقد قبلت الشمس وجنتيك فهما ورديتان، وشعرك الأسود يبدو وكأن ضوءاً يتخلله ولمعان عينيك كأضواء النجوم.. وفمك كان يجذبني طوال النهار».

ثم انحنى وقبلها، فمدت كاسندرا يديها تحتضنه بشدة وشعرت وكأنها تطير. انحبست أنفاسها لفرط البهجة، وتمنت لو أن هذه اللحظة تدوم إلى الأبد، راجية أن تكون متعته في تقبيلها بقدر متعتها في عناقه لها.

راح جيرد ينثر القبلات على وجهها وعنقها، ممسكاً بها بقوة، ومرت دقائق لم تعد كاسندرا تفكر فيها بشيء سوى بجيرد وبالسعادة التي تجدها بين ذراعيه. كان دمها يغلي، وأنفاسها مقطوعة تقريباً، وأحاسيسها تتلاطم كالموج.

هل من الممكن أن تغمر كل هذه السعادة شخصاً؟ فتحت عينيها فرأته يحدق في عينيها. شعرت أن قلبها سينفجر من فرط حبها له.

قال لها: «الأفضل أن نؤمن للطفلتين ما تريدانه وإلا ستقطعان علينا هذه الأوقات الحميمة!».

فعادت إلى أرض الواقع بصدمة بالغة.

أخذت تعد العشاء، وهي تشعر وكأنها تعيش في زمن آخر. ذكرها هذا بتلك الليلة في نيويورك بعد أن أرغمت على السفر مع جيرد. ألم يرغمها الآن على هذا الزواج؟.

لكن هذا الحكم غير عادل، فقد أقدمت على هذا الأمر بملء إرادتها.

بعد أن أكلت الطفلتان، ذهبت كاسندرا لتعد لهما الحمام بينما أخذتا تساعدان أبيهما على تنظيف المائدة. وعندما استعدتا للنوم، جلسوا جميعاً معاً لسماع الحكاية، وسرعان ما استولى النوم على التوأمين. تمهلت

كاسندرا في مغادرة غرفة الطفلتين قدر إمكانها. كان قلبها يخفق في صدرها. لم تستطع التركيز على شيء. شعرت بالدقائق تزيدها قرباً من وقت النوم... ومن سرير جيرد الضخم.

وأخيراً، توجهت إلى غرفة الجلوس وهي تتساءل عما إذا كان جيرد يشعر بمثل لهفتها. وازداد تساؤلها حين رأته جالساً على كرسي مريح وهو يقرأ تقارير العمل؟ هذه ليلة عرسهما، وهو يعمل!

من الواضح أن هذا النهار لا يعني له شيئاً أكثر من الحصول على أم مناسبة لأجل ابنتيه، وتنحنحت.

رفع بصره، ثم ألقى الأوراق على ركبتيه وأشار إلى الأريكة. وعندما جلست، سألته: «ماذا سنفعل بالطفلتين يوم الاثنين؟».

ـ أعتقد أن جينيفر ما زالت ترغب في العمل هنا.

ـ أظن أنه من الأفضل أن نبحث عن دار للرعاية اليومية لهما، فمن الأفضل لهما أن تختلطا بأطفال من سنهما. وبهذه الحالة، لن نضطر إلى الاعتماد على امرأة واحدة قد تتذمّر منهما في أي وقت، أو تترك العمل لعذر ما.

ـ جينيفر تبدو جديرة بالثقة، وإذا غابت يوماً يمكن لأحدنا أن يبقى في البيت معهما، يكفيهما ما مرتا به من ظروف صعبة، وأفضل ألاّ آخذهما إلى دور الرعاية اليومية حالياً.

أومأت كاسندرا برأسها وأخذت تنظر من خلال النافذة. لقد كان جيرد محقاً في ما قاله، فقد جرت الكثير من الأحداث مع الطفلتين في الأسابيع الماضية. وكذلك في حياتها!

ـ كدت أنسى.

ومد يده إلى حقيبة أوراق بجانب كرسيه وأخرج مغلفاً عريضاً أعطاه إلى كاسندرا.

ـ ما هذا؟

سألته وهي تفتح المغلف وتخرج أوراقاً رسمية ثم ترى أسهماً لشركة

هنتر باسمها.

فقالت: «ظننت أننا سننتظر».

فسألها: «ولم الانتظار؟ أنا أحفظ عهودي يا كاسندرا، وهذا هو جزء من الصفقة».

جزء من الصفقة، أتراها فسّرت خطأ قبلته تلك بأنها علامة اهتمام صادق بها؟ شعرت بالإنهاك والتعب، فنهضت واقفة... أعادت الأوراق إلى المغلف ثم توجهت نحو الردهة قائلة: «أنا متعبة وأريد أن أنام».

ولكن ليس في سريره! أدركت كاسندرا بحزن، أن حياتها الزوجية مع جيرد لن تغمرها السعادة. لقد وافقت على هذا الزواج وستعيشه حتى النهاية، وتمثل دور الأم لأشلي وبريتاني، ولكنها ستتابع عملها بجدية، وتبني لنفسها حياة بعيدة عن رعاية الأطفال. قال لها جيرد: «سأكون هناك بعد دقائق قليلة».

أخذت قميص نومها واستعملت حمام الطفلتين لغسل أسنانها، ثم تسللت إلى غرفة الضيوف دون أن تعبأ بالنور، رفعت الأغطية ثم صعدت إلى السرير، وحاولت أن تنام. من خلف أجفانها المغمضة، أخذت أحداث النهار تتراقص أمام عينيها. حماسة سوزي، الطفلتان تراقبان.. حفل الزفاف، النزهة في الحديقة العامة... لم يحدث قط أن أمضت مثل ذلك القدر من الوقت في أحلام اليقظة عن العرس. لذا لا يمكنها أن تعتبر نفسها خائبة الأمل. فقد كان الاحتفال الكنسي جميلاً بكل ما حفل به، بما في ذلك قبلة جيرد. لكنها تذكرت أكثر القبلة التي كانت بينهما قبل العشاء.

وإذا بالنور يشتعل فجأة في الغرفة، وسمعت صوت جيرد الغاضب يسألها: «ماذا تفعلين هنا بحق الله؟ لقد بحثت عنك في الشقة بأكملها!».

انقلبت على ظهرها، شبه مغمضة العينين إزاء الضوء المفاجيء، ونظرت إليه: «قلت إنني ذاهبة لأنام، لأنني متعبة».

ـ هذا ليس سريري.

ـ لا، لكنه سريري أنا.

وجلست تواجهه. أرادت أن تقف، لكن قميص نومها كان أكثر شفافية من أن يسمح لها بذلك.

ـ ما الذي تقولينه؟ أنت تعلمين أنني أردت أن يكون هذا الزواج طبيعياً من كل النواحي بما في ذلك النوم معاً. لقد سبق وتحدثنا عن هذا.

ـ لا يا جيرد، لقد أمليت ما تريده أنت. فأنا لا أكاد أعرفك، كما أنك لا تعرفني! أتفهّم ما تريد، لكن ليس قبل أن نعرف بعضنا بعضاً...

ـ وما هو أفضل، لنعرف بعضنا بعضاً، من أن ننام معاً؟

ـ ليس الليلة.

فتردد، وعيناه تخترقان عينيها.

ـ متى إذن؟

بدا صوته هادئاً، أحست بغضبه، فقالت بشجاعة: «بعد أن نعرف بعضنا بعضاً جيداً».

وأخذ قلبها يخفق عندما أخذت تمسح عرق راحتيها بالبطانية خلسة.

وتابعت تقول: «لقد تزوجنا، لأكون أماً لابنتيك، وسأتمم الجزء المتعلق بي في هذه الصفقة!».

ـ ولكن ليس الليلة؟

فهزت رأسها.

حدق إليها لحظة أخرى، ثم استدار وخرج من الغرفة، وضرب الباب خلفه بعنف. وحالما سمع الصوت، وقف ينصت. أتراه أيقظ الطفلتين؟ لا شيء سوى السكون.

سار نحو غرفته، وتردد عند بابها، لكنه أغلقه بهدوء، أراد أن يصفقه بقدر ما يمكنه من القوة لكي ينفس بعض الغضب الذي كان يغلي في داخله. منذ لحظات كان يتوقع أن يجد كاسندرا تنتظره في سريره، ظاناً أنه كان يتصرف بأدب، إذ يجعلها تستعمل الحمام قبله، وتستعد قبله. وعندما جاء إلى الغرفة رآها خالية كما كانت حين تركها قبل ذهابه إلى

العرس.

تباً لها! ما الذي تفعله؟ لقد أوضح لها تماماً أنه يريد زواجاً طبيعياً. أتراها تزوجته لأجل حصة في أسهم الشركة؟ وعندما حصلت عليها لم يعد هناك ما يرغمها على فعل شيء آخر؟ كان عليه أن يؤخر تسجيل الأسهم باسمها... ولكن.. ألم تقترح هي الشيء نفسه؟ ربما الأسهم ليست هي السبب، وتساءل إن كانت خجولاً.

لكن قبلتها في المطبخ أثبتت العكس، كان يظن أنه سيحصل عليها الليلة في سريره. ازداد غضبه، ربما بإمكانه أن يعود ويطلب منها مشاركته فراشه، ويريها، منذ البداية، كيف سيكون زواجهما.

ثم تلاشى غضبه ببطء. لن يفعل ذلك، وإذا لم تأت هي إليه طائعة، فهو لا يريدها على الإطلاق. لقد نال من عدم مبالاة مارلين ما يكفيه مدى الحياة، ولا يستطيع أن يكرر ذلك مرة ثانية.

إنها ليلة واحدة فقط، وغداً سيصرّ عليها بأن تنام هنا معه. توجه نحو الحمام، ليأخذ دوشاً بارداً ويرى إن كان باستطاعته النوم.

***

وفي الصباح، عندما دخل جيرد المطبخ، حيّته كاسندرا بابتسامة مشرقة وسلوك متحفظ لم يره قط من قبل، وكانت الطفلتان قد ارتدتا ملابسهما، تتناولان فطورهما وقد وُضعت أمامهما أكواب العصير، فبدا شاربان برتقاليان على وجهيهما المتشابهين. أخذ ينظر إلى كاسندرا وهي تروح وتجيء. لم يتغير شيء من الليلة الماضية. إنها زوجته، لكنها لم تمنحه حتى قبلة الصباح. سألته: «أتريد بيضاً أم شيئاً آخر؟».

ـ ماذا عندك؟

وجرّ كرسياً جلس عليه، مفتوناً بها. كان الجينز الذي ترتديه يبرز مستديراتها وساقيها الرشيقتين، وكان قميصها المقفل الفضفاض ينسدل

www.elromancia.com

على جذعها، ويرتفع على صدرها. وقد تركت شعرها مسترسلاً ورفعت نظاراتها عن عينيها، بينما الإحمرار يكسو وجنتيها. وشعر برغبة في معانقتها.

نظر إلى التوأمين فأدرك أن لا سبيل له للانفراد بها حالياً. لكنه يريدها، ويريدها اليوم وبأي شكل كان. لقد أزعجه كثيراً أن ينام وحده الليلة الماضية. أما الليلة، فستختلف الأمور.

قالت متجنبة النظر إليه: «لقد تناولت فطوري، فقد استيقظت باكراً، ولكن بإمكاني أن أعدّ لك شيئاً».

فقال: «سآكل خبزاً محمصاً بالقرفة، كالطفلتين، وأشرب قهوة».

فأومأت، ثم وضعت أمامه فنجاناً ساخناً، قائلة: «لقد سبق وأعددت القهوة».

وقبل أن تبتعد، أمسك بمعصمها ورفع بصره إليها فتلاقت أعينهما. تصاعد الدم إلى وجهها، فكاد جيرد يبتسم. لم تظهر على وجهها اللامبالاة فما سبب ما حدث الليلة الماضية إذن؟ وببطء، جذبها إليه وضمّها بين ذراعيه.

ودّ لو يقبلها، لكن إزاء نظرات التوأمين المتعطشة، فضّل ألاّ يفعل.

قال وهو ينظر إليها تعد له الطعام: «فكرت في أن نذهب إلى حديقة الحيوانات اليوم».

ـ إذهب أنت والطفلتين، عليّ أن أذهب إلى بيتي!

صدمه جوابها هذا غير المتوقع، فسألها: «ماذا تعنين؟».

ـ أريد أن أستغل هذه العطلة الأسبوعية لأحزم كل شيء. ستأتي شركة نقليات إلى البيت يوم الاثنين لتأخذ الأثاث وتخزّنه، ولكن هناك أشياء أريد أن أحضرها إلى هنا.

لم يدرك جيرد ما كان عليه من توتر إلا بعد أن شعر بعضلاته تسترخي. لم تودّ الرحيل بشكل نهائي، بل لتحضر حاجياتها فحسب. بعد العطلة الأسبوعية ستكون هذه الشقة بيتها، ولن يكون لها بيت آخر تذهب

إليه. انتابه إحساس عميق بالرضى للتفكير بذلك.

ـ يمكننا أن نساعدك، إذا شئت.

ابتسمت للطفلتين: «لا أظن ذلك، يمكنني تدبّر أموري بنفسي، خذ الطفلتين!».

***

كانت تقوده إلى الجنون. أخذ يفكر بذلك وهو يميل إلى الخلف في كرسي مكتبه، ويحدق في خليج سان فرانسيسكو. أدرك من الأمواج المزبدة أن الرياح شديدة. لكن الشمس كانت ساطعة والسماء صافية. وتمنى لو أن حياته كانت نقية كهذا المشهد. ما زال ينام وحده، كانت كل ليلة تأتي بعذر ما، فتكرر له بأنهما لا يعرفان بعضهما بعضاً بما يكفي، أما كيف تتوقع أن يعرفا بعضهما البعض، فهذا ما بقي غامضاً في نظره. لقد أمضت طوال العطلة الأسبوعية في حزم أمتعتها. ومساء الاثنين ذهبت لتنظف شقتها، وتستعيد سند التأمين. يا لجهنم! لقد أعطاها لتوّه عشرين بالمئة من شركة هنتر، ومع ذلك تريد أن تستعيد سند التأمين!

يوم الثلاثاء انشغل بمعالجة وضع طارىء في بانكوك، وعندما وصل إلى البيت، كانت هي نائمة، أو لعلها تظاهرت بالنوم.. لم يكن يدري. والليلة الماضية أحضرت معها عملاً إلى البيت وبقيت تعمل مدة طويلة بعد أن نام هو.

كانت تبدو كل يوم ودوداً، لكن الهوة بينهما كانت تزداد عمقاً. أين هي تلك الزوجة المطيعة التي توقعها؟ زوجة تشكره على منحها أسهماً في شركة هنتر، زوجة من المفروض أن تنفذ كل ما يريد!

رشف قهوته وهز رأسه. لم تعد كاسي مستعدة للموافقة على خطط أي شخص، أكثر منه هو. إن لديها أفكاراً واضحة محددة عما ينبغي أن تكون عليه الأمور. هل هذا جزء من المشكلة؟ وهل زواجهما لم يكن متناسباً من ناحية ما؟

ولكن كيف حصل هذا؟ لقد كان ترتيباً عملياً أولاً وأخيراً وعلى الدوام. فما هو الذي لم يكن متناسباً؟ لقد تلقت حصتها من الأسهم، وحصل هو على أم لابنتيه. سأل نفسه بصوت مرتفع: وما هي حصتي أنا من ذلك؟ أنا أريد زوجة. لقد كان في الأيام الأخيرة مجاملاً متسامحاً... لكن الاتفاق هو اتفاق... وكاسي تتهرب من الوفاء به. وقد حان الوقت لوضع حد لذلك. الليلة سيضع التوأمين في فراشهما باكراً، ثم يحرص على أن تكون زوجته في سريره، حيث كان ينبغي أن تكون طوال الأسبوع. أخذ ينتظر قدوم المساء وهو يغلي توقعاً.

***

وصلت كاسندرا إلى البيت قبل وصول جيرد بدقائق. كان قد اقترح عليها أن يعودا دوماً معاً، ولكنها رفضت ذلك، بعد نهار الثلاثاء عندما تأخر كثيراً في العودة إلى البيت. لم تكن تريد أن تبقى في العمل إذا اضطر هو أن يتأخر. وكانت هناك مناسبات تتأخر هي فيها، فلا تريد أن تؤخره معها. فعلى أحدهما أن يكون في البيت كل يوم عندما يحين وقت مغادرة حاضنة الأطفال.

تحدثت مع جينيفر عدة دقائق، ثم احتضنت الطفلتين ودعتهما إلى المجيء معها أثناء تغييرها ملابسها. تحدثتا بحماسة عن يومهما. لقد أخذتهما جينيفر إلى الحديقة العامة، وأخبرتا كاسندرا بأنهما رأتا كلباً، وتساءلت هي عما إذا كانت المرة الأولى التي تريان فيها كلباً.

كانت تخلع بلوزتها وتنورتها، عندما ظهر جيرد فجأة عند العتبة. كان صوت الطفلتين وهما تتحدثان عن مغامراتهما عالياً فغطى على كل صوت آخر. كان جيرد يضع سترته على كتفه وهو يمسكها بإصبع واحدة. رفع حاجبه وأخذ يتفرس في جسدها وعلى فمه ابتسامة إعجاب.

فجمعت ملابسها وهربت إلى الحمام، وأغلقت الباب خلفها وهي

تسمع الطفلتين ترحبان بأبيهما. استندت إلى الباب وقلبها يخفق، ارتدت ثيابها، وترددت قبل أن تخرج من عرينها الآمن. ولكن إلى متى تبقى محبوسة؟

وإذا بنقر على الباب يجيب على تساؤلها، ففتحته وأخذت تحدق في جيرد.

ابتسم ساخراً، ثم مال عليها برقة، قائلاً بصوت أحرقها: «الليلة يا كاسندرا، لن أقبل بأي عذر!».

تحولت عيناها إلى السرير الواسع دون وعي. كانت الطفلتان تتقافزان عليه، ما زال يبدو واسعاً ضخماً. لم تجلس مطلقاً حتى على حافته. ولكن الليلة، لم يكن يبدو وكأن الخيار بيدها.

فتحت فمها لترد عليه، لكن فمه كان هناك قبل أن تتمكن من قول شيء، قبلها مرة أخرى، ثم جذبها بلطف إلى خارج الحمام وأغلق الباب.

بدا وكأن العشاء انتهى بسرعة. حاولت أن تؤخر انتهاءه، لكن هذا بدا مستحيلاً إزاء رغبة التوأمين في اللعب قليلاً قبل الاستحمام والنوم، حتى غسل الأطباق انتهى بسرعة قياسية.

أوشكت نظرات جيرد العنيدة أن تبعث فيها الجنون. كان يراقبها أثناء العشاء وكأنها ستهرب. استند إلى الجدار أثناء غسلها الأطباق وهو يتحدث معها عن مختلف المشاريع في الشركة، ويسألها عن معلوماتها. ساعدها في حمام البنتين ثم جلسوا جميعاً على الأريكة يقرأون الحكاية. ولكن هذه الليلة لم يستطع صوت كاسندرا أن يطيعها، وأصرت على أن يقرأ جيرد الحكاية.

أثّرت نبرة صوته على أعصابها بقوة تأثير لمساته، أغمضت عينيها وأصغت إلى نبراته الغنية وهي تبعث الحياة في القصة لابنتيه. وانتهى كل شيء بسرعة غير عادية، وحان وضع الطفلتين في السرير.

أرادت كاسندرا أن تزحف إلى السرير مع أشلي، وتضع بطانية الطفلة فوق رأسها وتختبيء تلك الليلة. لكن جيرد كان معها هناك، وعندما منح

طفلته قبلة المساء الأخيرة، أمسك بذراع كاسندرا وقال: «تعالي معي!».

أخذ قلبها يخفق. لم تستطع أن ترى شيئاً سوى جيرد، ذقنه العنيدة ملامحه المتوترة. لم تؤذها يده، لكن قبضته كانت من القوة بحيث أن التملص منها كان مستحيلاً.

أغلق باب الغرفة ثم أخذها بين ذراعيه، وقبل أن تتمكن هي من الاحتجاج، وشن عليها هجوماً عنيفاً تركها عاجزة، وهمد احتجاجها وهي تبادله مشاعره المحمومة. أوشكت أحاسيسها المفرطة أن تهزمها عندما تخللت شعره بأصابعها، حتى شعرت بأن شوقها العنيف سيقودها إلى الجنون.

***

١٠ ـ أريدك أنت فقط

فجأة سمعا طرقاً على الباب، تلاه في ما بعد صوت إحدى الطفلتين.

ـ بابا، أريد ماء!.

ـ تباً!

قال هذا بصوت خافت، ثم فتح عينيه وحدق في كاسندرا وقال لها آمراً: «لا تتحركي!».

وفتح الباب: «أشلي حبيبتي، كان عليك أن تكوني في الفراش!».

ـ لكنني أشعر بالعطش.

ـ لا بأس، سأعطيك القليل من الماء.

ـ وأنا أيضاً.

قالت بريتاني هذا وهي قادمة من الردهة تجر بطانيتها خلفها.

فقال بجفاء: «هذا ما ظننته».

جاءت كاسندرا تقف بجانبه: «هيا، يا بنات، سنشرب ماءً بارداً طيباً، ثم نضعكما في السرير مرة أخرى».

ـ أريد حكاية.

قالت أشلي هذا عندما حملها جيرد وسار بها نحو المطبخ. أحضرت كاسندرا كوبين صغيرين من الماء للطفلتين، وأخذت تنظر إليهما تشربان دون أن تنظر إلى جيرد، ونظر هو إليها، متسائلاً عما إذا كانت تظن أنها بتجاهلها له، يمكنها أن تغيّر أي شيء. وتملكه شيء من الإحباط، أولاً بسبب المقاطعة، وثانياً لبرودة كاسندرا. هذا كله كفيل بأن يبعث الرجل

www.elromancia.com

على الجنون.

وعندما أمسك بيد إحدى الطفلتين، نظر إلى كاسندرا يسألها: «هل أنت قادمة؟».

فهزت رأسها وقالت: «يمكنك أن تضعهما في السرير من دوني».

تردد، متسائلاً عما إذا كانت ستهرب من الشقة أثناء انشغاله مع الفتاتين، لكنه هز كتفيه، ومد يده لابنته الأخرى وقال لهما وهما تسيران في الردهة: «سأضعكما في السرير، وهذه المرة ستناما على الفور، هل سمعتما؟».

بعد أن استقرتا، توجه إلى المطبخ. لم تكن كاسندرا هناك، أتراها عادت إلى غرفة النوم؟ عاد فرآها جالسة على كرسي في غرفة الجلوس. كانت تبدو وكأنها مصممة على المكوث بعض الوقت. قابلت نظراته دون أن تحولهما بعيداً. ولكنه أدرك من العناد الذي بدا على وجهها، أنها ليست مستعدة لمتابعة ما كانا عليه.

قالت وهي تشير إلى كرسي آخر: «أريد أن أتحدث إليك، من فضلك».

فتقدم وجلس حيث أشارت، مع أنه كان يريد أن يرفعها عن كرسيها ويحملها على كتفه ليأخذها إلى غرفتهما، وهذه المرة سيتأكد من أن الباب مقفل ولن يتدخل أحد، لكنها بدت له مستقرة ثابتة على الكرسي.

أجاب وهو يخفي إحباطه بصعوبة: «نتحدث عن ماذا؟».

ـ عن العمل، عنا، عن زواجنا، عن أشياء مختلفة.

ابتلعت ريقها بصعوبة، رغم محاولتها إخفاء توتر أعصابها، إلا أن جيرد تمكن من ملاحظته. واتكأ إلى الخلف ببطء وقد تملكه الفضول لما ستقوله. وللحظة، راح يفكر كيف ستكون في التفاوض؟ كانت مارلين طبيعية عادية في ذلك، لكن كاسندرا تبدو بالغة الرقة والطيبة.

ـ تحدثي إذن!

فتنحنحت وقالت: «كنت سأنتظر حتى يوم السبت، ظننت ربما ذلك

أفضل، إنما الآن، أظن أن عليّ أن أخبرك الليلة».

تملك جيرد التردد، وركز اهتمامه على كاسي وقد نسي على الفور العمل والتفاوض والمهارة وزوجته الأولى.

ـ تخبريني بماذا؟

تنحنحت مرة أخرى: «سأعيد الأسهم إلى شركة هنتر. لقد فكرت في ذلك طوال الأسبوع، وأنا حقاً لا أريدها».

ـ لم لا تريدينها؟ كنت أظن أن هذا ما تريدينه؟ أن تكوني شريكة في العمل، أنت قلت هذا!

أومأت موافقة: «ولكن ليس أن تسلمني ذلك بيدي، لا أشعر بأني اكتسبت تلك الأسهم بجهودي، وهذا ما أريده حقاً. أن أشعر بأنني شققت طريقي في الحياة بنفسي. لكن أن آخذ أجراً لأنني وافقت على الزواج بك هو خداع لنا معاً. أنا لا أريد الأسهم يا جيرد».

أصغى إليها مذهولاً. هل هذا يعني أنها ستنهي الزواج؟ وفجأة أدرك أنه لا يستطيع أن يسمح بذلك. عليه أن يجعلها ترى أن ليس بإمكانها إنهاء زواجهما. وأن هذا سيدمّر الطفلتين.

ـ ماذا تريدين إذن؟

فقالت: «في الحقيقة، أريد أن أبحث عن وظيفة جديدة».

فصاح متعجباً: «ماذا؟ ما الذي تقولينه؟ لا يمكنك أن تتركي الشركة!».

صعقه هذا الخبر، وسار نحو النافذة ينظر منها دون أن يرى شيئاً. كيف يمكنها حتى أن تقترح ذلك؟ وهل هذه هي الخطوة الأولى؟

ـ لا يمكنني البقاء، لأنني لن أعرف ما إذا كنت ناجحة في عملي، بسبب خبرتي أم لمجرد كوني زوجة الرئيس.

وببطء، التفت جيرد ينظر إليها. هل تريد أن تترك العمل لأنها زوجة الرئيس؟ إنه يعلم أهمية نجاحها في العمل بالنسبة إليها. لكنه رأى في ذلك الخطوة الأولى لترك كل شيء.

فسألها: «هل هذا يعني أنك تريدين إنهاء زواجنا؟».

اتسعت عيناها دهشة، ثم هزت رأسها قائلة: «لا. أظننا اتفقنا على أن أكون أماً للفتاتين».

ـ وزوجتي أيضاً.

ـ حسناً، نعم. وهذا أيضاً.

وتنحنحت للمرة الثالثة، ثم تابعت تقول: «في الواقع، أردت أن أتحدث معك عن هذا أيضاً، لا أريد إنهاء الزواج، فنحن لم نتزوج إلا منذ أسبوع».

فقال بجفاء: «يمكن أن يقال إننا لم نتفق».

ـ أعرف هذا، وهو شيء آخر أريد أن نتحدث عنه.

فقال بحزم: «الليلة!».

ـ هل ستدعني أتكلم؟ لقد استعجلنا الأمور. صحيح أنني كنت مناسبة ولدي خبرة في رعاية الأطفال...

ـ قولي فقط ما تريدين قوله، ودعينا نذهب إلى السرير يا كاسندرا؟..

ـ هذه هي المسألة يا جيرد، فأنا غير مستعدة للذهاب معك إلى السرير، فأنا أعلم أنه بإمكان الرجل أن يقفز إلى السرير مع أي امرأة، ولكن أنا لا يسعني ذلك.

ـ مع أي امرأة؟

وتقدم منها خطوة: «تباً لك، من تظنينني؟ شخصاً يقفز على النساء كلما تطلّب مزاجه ذلك؟ لقد بقيت متزوجاً لمدة ست سنوات من شريكة في العمل. لكننا نادراً ما تشاركنا الفراش، وكان هذا حسناً بالنسبة لكل منا. لكننا حافظنا على عهودنا الزوجية ولم نبحث عن المتعة في مكان آخر. ثم رحلت هي فبقيت بعدها وحدي ثلاث سنوات!».

ـ هذا هو الأمر، كنت وحدك، أما الآن، فلم تعد كذلك، ولهذا تريدني.

ـ هذا صحيح، فأنا أريدك بكل تأكيد.

ـ أنت تعلم أن ليس في هذه العلاقة حب متبادل، وأظن أننا بحاجة إلى مزيد من الوقت لكي نعرف بعضنا البعض، ونرتبط بنوع من الصداقة قبل أن نتشارك الفراش نفسه.

قالت هذا باندفاع، وكانت الكلمات معقولة لكن التوقيت كان خطأ. لا يستطيع أن ينتظر حتى يصبحا صديقين، فهو يزداد رغبة بها يوماً بعد يوم، وقد كبر الجدار الذي بنته بينهما منذ الجمعة الماضية. فإذا تركها وشأنها، هل سيتمكن من اختراق ذاك الجدار، بعد ذلك؟

سار نحوها ومدّ إليها يده: «تعالي معي لدقيقة... لدقيقة واحدة فقط».

ترددت، ثم أخذت يده. كانت قريبة منه إلى حد أمكنه شم رائحة عطر الورد الذي تستعمله على الدوام. داعب ذلك حواسه وزاد من رغبته بها، أكثر من أي وقت مضى. كانت قصيرة القامة لا تكاد تصل إلى كتفه، وكان جسدها رقيقاً أنثوياً يجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد، ولكنه أدرك أنها لم تكن تعرف حقيقة شعوره نحوها.

سار معها إلى غرفة النوم. تجاهل السرير وسار ليقف أمام مرآة طويلة قرب غرفة الملابس، جذبها إلى أمامه ثم نظر إليها في المرآة: «انظري إلى نفسك ثم أخبريني لم لا أريدك. فأنت رائعة كالطفلة».

وببطء، تخللت أصابعه خصلات شعرها المتموجة، مستمتعاً بملمسها الحريري. وأزاحه عن وجهها تاركاً إياه ينزلق من بين أصابعه، مستمتعاً بنعومته. والتقت عيناهما.

ـ شعرك رائع وناعم، وأنت شابة صغيرة إلى حدٍ أن بشرتك صافية كأفخر أنواع الخزف.

ولامس خدها بإصبعه بخفة، وعلى الفور اشتد احمرار لونها فازداد شعور جيرد بانجذابه إليها وقال: «أنا أعشق احمرار وجهك هذا، أكثر نساء هذه الأيام لا تحمر وجوههن. ولكن أقل شيء يجعلك تحمرّين

خجلاً».

أغمضت عينيها متأوهة، فمال نحوها يهمس في أذنها: «ما عاد الخجل في هذا المجتمع شائعاً، وهذا ما يجعل الفتاة التي تخجل أعزّ وأغلى!».

فتحت عينيها قليلاً، ونظرت إلى صورتهما في المرآة.

أبقى جيرد وجهه بجانب وجهها، وفمه لا يبعد عن أذنها سوى سنتمترات. أراح يديه على كتفيها، ثم ترك نظراته تتابع بجرأة خطوط جسدها الجميل: «أنت تزخرين بالأنوثة والجاذبية، يا كاسي. لقد أردتك منذ تلك الليلة في نيويورك. أول مرة رفعت فيها نظاراتك عن عينيك تملكني الضياع. تنظرين إليّ أحياناً وكأنك تعرفين ما لا أعرفه. أحياناً تنظرين إلي وكأنني شخص غير عادي، وأحياناً أخرى وكأنني أكبر غبي على وجه الأرض، وأنا أحب أكثر، عندما تشعرين بأنني شخص غير عادي».

اغرورقت عيناها بالدموع، فتردد. ولكن عندما ابتسمت تابع يقول: «عندما أنظر إليك، أرى المستقبل. مستقبلنا، قد لا يحدث بيننا قط ذلك الحب المتبادل الذي تحدثت عنه يا كاسي، ولكن بإمكاننا أن نحصل على رباط قويّ. أريد أن أمضي حياتي معك، ليس لأنك مجرد امرأة التقيت بها، بل لأنك أنت، أنت بالذات، رائعة وخلاّبة!».

ـ جيرد، لم يقل لي أحد من قبل هذه الكلمات، هل لهذا علاقة ببراعتك في البيع؟

قالت هذا وهي تميل عليه واضعة يدها على يده. وببطء، أنزل كفّيه حتى استقرتا على خصرها، ولاحظ رجفتها.

ـ أنا ماهر في الإقناع بالشراء، وأرجو أن أتمكن من أن أقنعك بالأسباب التي أريدك لأجلها في حياتي، إذا شئت أن نصبح أصدقاء أولاً، أظن بإمكاني أن أنتظر، ولكن ذلك سيكون صعباً.

شعرت كاسندرا برهبة لكل هذه السلطة التي منحها لها. وأدركت أنها

ستحبه إلى نهاية حياتها. لم يقل أحد قط مثل هذه الأشياء الرائعة عنها، وشعرت بحرارة جسدها ترتفع. تشوقت إلى جيرد، إلى قبلاته، إلى لمسات يديه. هل عليها أن تستمر في الامتناع عما يريدانه هما الاثنين؟ وما هي أهمية الحب، على كل حال؟ أليس لديها منه ما يكفيهما هما الاثنين؟ لقد تزوجته وهي تعلم أنه لا يشعر نحوها بالحب، ولم يتغير شيء، بإمكانها أن تكتشف ما تصل إليه المشاعر المحمومة مع هذا الرجل. وهو سيرعاها، تماماً كما أراد أن ترعى ابنتيه. قالت برقة بالغة: «أحبك يا جيرد».

فاتسعت عيناه، ثم ابتسم ببطء: «إذا كان هذا ما حصلت عليه لأنني ذكرت مزاياك الحسنة، فربما كان علي أن أذكرها قبل الآن!».

فقالت بالرقة نفسها وعيناها في المرآة تقابلان عينيه: «أحببتك قبل الليلة».

أدارها بين ذراعيه ونظر إليها مباشرة: «كاسي، أنا...».

غطت فمه بأصابعها: «لا، لا تقل شيئاً، فقد تزوجنا لأسبابنا الخاصة. لقد غيرت رأيي بالنسبة لامتلاك أسهم شركة هنتر، ولكن ليس بالنسبة إلى أي شيء آخر، ظننت أنني بحاجة إلى مزيد من الوقت لكي أصبح زوجتك، ولكنني لم أعد كذلك!».

ومدت يدها إلى رأسه واحتضنته بقدر ما أمكنها من العنف والحرارة.

دارت بها الغرفة حين حملها، ثم غرقت معه في بحر من المشاعر حين مددها على السرير الضخم. لقد قال الليلة، والليلة سيكون ذلك!

* * *

سمع صوت يشبه صوت القطيع يجتاز الردهة، فاستيقظت كاسندرا قبل أن يسحقها القطيع.

ـ بابا... بابا... بابا.

أخذت الطفلتان تترنمان وهما تقرعان الباب.

عادت تستلقي بارتياح، وهي تلتفت قليلاً وتنظر في عيني زوجها اللامعتين. شعرت بوجهها يتوهج حرارة، لكنها رفضت أن تحول نظراتها بعيداً عنه، بعد كلماته الليلة الماضية لم يعد يهمها إذا رأى خجلها أو ارتباكها. بعد حبه وملامساته، لم يعد يهمها سوى تكرار ذلك مرة أخرى.

وارتفع الدق على الباب: «كاسي، كاسي، كاسي».

فقال جيرد ببطء: «أظن أن ابنتينا قد استيقظتا».

ومد يده يلامس خدها: «هل أنت واثقة من أنه لا يوجد سوى فتاتين صغيرتين هناك؟».

فقالت: «يبدو من الصوت وكأنه قطيع!».

فضحك: «ضعي عليك شيئاً، وسأدخل أنا القطيع».

ونهض وارتدى بنطلون بيجاما، وانتظر حتى لبست هي قميص نومها، ثم فتح الباب ودخلت الطفلتان ترقصان وتنظران خلفه لرؤية كاسندرا في السرير الضخم، فأخذتا بإثارة جلبة حولها لكي تنهض.

أخذ جيرد ينظر غير مصدق بأن حياته تغيرت إلى هذا الحد، أثناء الأسابيع القليلة الماضية. قبل أن يسافر إلى بانكوك، كان مصمماً على البقاء عازباً. وها هو ذا الآن لديه زوجة وابنتان، كان شعوره عنيفاً.

إنه يحبهن.. جميعهن.

وبحثت عيناه عن عيني كاسندرا. لا عجب في كونه ذعر الليلة الماضية حين قالت له إنها لا تريد الأسهم، فقد خاف أن تنهي زواجهما، وأدرك أنه ما كان ليدعها ترحل أبداً، ليس لأنها تصلح لأن تكون أماً رائعة للطفلتين، بل لأن حياته لن يكون لها معنىً من دون كاسندرا هنتر.

ولأول مرة خلال سنوات، بدا كل شيء لجيرد كاملاً رائعاً، لديه زوجة تحبه هو وابنتيه، كما أنه يحبها. وأخذ يتصور مستقبلهما. سينشئان رباطاً قوياً من الحب المتبادل، وليس مجرد اهتمامات مشتركة كما ظن مرة بكل غطرسة.

وقال برقة: «أحبك يا كاسي!».

نظرت إليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «حقاً؟».

وقالت بريتاني وهي تقبلها: «كاسي حزينة؟».

ـ ماما اثنين.

قالت أشلي هذا بصوت مرتفع، ثم ربتت على ذراع كاسي وقالت: «ماما اثنين حزينة؟».

ـ لا، بل أنا سعيدة. أظنني سأنفجر من السعادة.

قالت كاسندرا هذا عندما سالت دموعها على خديها، وعيناها لا تبارحان عيني جيرد.

تقدم إليها يأخذها بين ذراعيه ويقبلها بحرارة.

فقالت بريتاني وهي تندفع إليه: «وأنا أيضاً... قبلني يا بابا».

ـ سنرى الليلة إذا أمكن أن تبقى جينيفر ونذهب نحن لتناول العشاء خارجاً. إننا بحاجة إلى الانفراد ببعضنا.

أومأت وهي تتشبث بكتفيه وكأنها لا تريده أبداً أن يتركها. فقال: «نذهب إلى مطعم «ماركو» حيث يمكننا الرقص أيضاً».

ـ عظيم جداً!

ـ من ثم نعود إلى البيت فنجد الطفلتين نائمتين، وبذلك يمكننا...

غطت فمه بأصابعها: «أعرف بالضبط ما يمكننا أن نفعل، هل تحبني حقاً؟».

ـ من كل قلبي، لقد أدركت ذلك عندما رأيتك مع التوأمين، فأنا أحبهما كثيراً. عند ذلك أدركت أنني أحبك بالقدر نفسه... وإنما بشكل مختلف.

فقالت بلطف: «لهذا تزوجتك. عندما عرضت عليّ الزواج في فناء بيت جدك، أدركت أنني أحبك. كنت بطيئة في التجاوب، ثم اندفعت أنت بتقديم الأسهم، ألم تكن تنصحنا أثناء اجتماعات العمل، ألاّ نتعجل في المفاوضات؟».

ابتسم وهو يجلس الطفلتين في حضنه معاً: «لم أستطع أن أجازف بأن

أسمعك تقولين لا، كما لم أكن أريدك أن ترفضي اقتراحي التالي».

فقالت بابتسامة مشرقة: «ما أفكر فيه الآن، هو أنني أشك ما إذا كان بإمكاني أن أرفض لك طلباً».

ـ احتفظي بالأسهم، وتعلمي أثناء وجودك في الشركة. لا يمكنني أن أدع زوجتي تعمل عند منافس لي. تذكري، كنا، أنا ومارلين، في مثل عمرك تقريباً عندما ابتدأنا العمل. لم نكن نعرف الكثير لكننا تعلمنا مع مرور الزمن، إبقي يا كاسي، إبقي وابني شركة هنتر معي ومع البنتين.

فسألته: «أتظن أن عليّ ذلك؟».

ـ بالضبط!.

ـ لا أستطيع أن أصدق هذا. يا ليتنا أخبرنا بعضنا البعض بهذا منذ أسبوع، هل تدرك أن هذه ذكرى أول أسبوع من زواجنا؟

ـ حالما نسوّي الأمور في العمل، سنأخذ إجازة لشهر عسل حقيقي، نحن الاثنين فقط.

ـ ظننتك تزوجتني لأرعى لك الطفلتين.

ـ اعتقدت ذلك في بادىء الأمر، ولكنني أوكلت إلى هيلين البحث لهما عن مربية دائمة، بعد أن أدركت أنني أريد أكثر من مجرد حاضنة أطفال. أريدك أنت، لذاتك لأنني أحبك وسأحبك إلى الأبد!

احتضنته بشدة: «أحبك يا جيرد، وسأحبك إلى الأبد».

ـ عانقيني، يا ماما.

طلبت أشلي هذا منها، إذ لم ترد أن تشعر بأنها أقل شأناً.

وقالت بريتاني: «وأنا أيضاً».

***